

روايات مصرية للجيب

زهور

٤٥

ستبقى فى قلبى

شريف شوقى

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

إن الحب بمعناه الكبير .. ومعناه السامى ، وبابتعاده عن الأنانية والرغبات والشهوات ، لهو أعظم شىء خلقه الله فى هذا الوجود !!

وفى هـذا الزمن الذى طغت فيـه الأطماع المادية والأنانية الفردية ، نحن نحتاج الآن لمن يسمو بمشاعرنا .. نحتاج لهـذا النـوع من الحب .. نحتـاج لزهور نستنشق عبيرها ، فتحركُ مشاعرنا ، وترقق عواطفنا ..

وفى كل قصة من قصص هذه السلسلة ، دعنا ننتقل من زهرة إلى زهرة .. فى بستان ملؤه جمال المشاعر .. ورقة الأحاسيس .. وزهور الحب .

المؤلف

١ ـ موقع للتصوير ..

توقفت السيارة الزرقاء الفارهة ، فوق الطريق الترابى الضيق ، الذى يفصل بين عدد من المزارع والحقول ، وهبط منها ثلاثة أشخاص يتميز أحدهم بقامة مديدة ، ويبدو فى الخمسينات من العمر ، وقد اختلطت الشعيرات البيضاء بالسوداء فى رأسه ، وتجلت مظاهر الهيبة واضحة على ملامحه ، أما الآخران ، فقد أحاطا به من جانبيه ، وهما يرمقانه بشىء من التوتر والقلق ، دون أن يجرؤ أحدهما على التفوه بكلمة واحدة ..

وفجأة توقف الرجل عن متابعة السير ، وأشار إلى إحدى المزارع ، قائلا بصوت جهورى :

ـ أعتقد أن هذا المكان يصلح .

لم يكد ينطق العبارة ، حتى نظر الرجلان إلى بعضهما البعض ، وهما يتنفسان الصعداء ، وقال أحدهما بلهفة ، وكأنه يخشى أن يتراجع الرجل عما قاله منذ لحظة :

ـ حسنًا .. سأتفق مع أصحاب المزرعة فى الحال .. هل تحب أن تأتى معنا ؟

أجابه الرجل ، قائلا :

ـ لا شأن لى بالاتفاقيات .. فقط عليك أن تعرف أننى أريد البدء فى العمل فى هذا المكان غدًا ، وعليك أن تسعى لتحقيق ذلك .

قال الرجل ، وهو يومئ برأسه سريعًا :

ـ حسنًا .. حسنًا .. سأحصل لك على المكان الذى تريده .

قال الرجل المهيب :

ـ سأنتظركما فى السيارة ، حتى تنهيا هذا الاتفاق مع أصحاب المزرعة ، ولكن لا تتأخرا كثيرا ، فلدى العديد من الارتباطات .

وقال أحدهما للآخر ، وهما يتجهان إلى المنزل الذى يتوسط المزرعة :

ـ هذا الرجل مُتعب، للغاية .

رد عليه رفيقه ، قائلا :

ـ المهم أنه استقر على رأى فى النهاية ، فقد ظننت أنه لن يعثر على ذلك المكان الذى يريده أبدًا .

ـ إنه يصر على بعض الأشياء الغريبة ، ويعقّد الأمور بطلباته العنيدة هذه .

ـ ولكن لا أحد يستطيع أن ينكر عبقريته كمخرج سينمائى فذ .. إنه الوحيد الذى يرضى أذواق الجماهير المختلفة ، ويحوز تقدير النقاد ، ويحقق أعلى الأرباح لأى منتج فى آن واحد .. أى أن لديه القدرة على حل المعادلة الصعبة ، بين إرضاء أذواق الجماهير وإيرادات الشباك العالية من ناحية ، وتقديم عمل فنى جاد ومتميز من ناحية أخرى .

ـ ليكن .. ولكن ما زلت أصر على أنه غير محتمل .

رد عليه رفيقه ، قائلا :

ـ لابد أن نحتمله يا (يسرى) ، فأنت تعرف أننى خاطرت بكل ثروتى ، فى إنتاج هذا الفيلم .

وعبر الرجلان السياج المحيط بالمنزل ، الذى يتوسط المزرعة ، متقدمين نحوه ، وفجأة برز لهما رجل ضخم الجثة ،

يرتدى جلبابا ، ليعترض طريقهما ببندقية عتيقة الطراز ، وقد بدا كما لو أن الأرض قد انشقت عنه فجأة ، ليقول بصوت أجش :

ـ إلى أين أيها السيدان ؟

أجابه زميل المنتج ، قائلا :

ـ جئنا لمقابلة صاحب المزرعة .

حدجهما بنظرات تشع بالريبة ، قائلا :

ـ تقصد صاحبة المزرعة .. فالمرحوم (كامل) صاحب المزرعة توفى منذ سبعة أعوام .

قال المنتج :

ـ إذن فنحن نريد مقابلة مالكة المزرعة .

قال الرجل ، وقد ازداد صوته خشونة .

ـ لماذا ؟

انفعل زميل المنتج قائلا :

ـ هذا ليس من شأنك .. عليك أن تقودنا لمقابلتها ، وتفسح لنا الطريق فقط .

وحاول المنتج تهدئة ثورة زميله ، خوفا من أن يفسد ذلك الأمور ، قائلا :

ـ إننا نرغب فى التحدث إليها فى موضوع شخصى .

وحك الرجل الضخم الجثة ذقنه بأظافره قليلا ، كما لو كان يعطى لنفسه مهلة للتفكير ، ثم لم يلبث أن قال لهما ، دون أن تفارق نظرة الريبة عينيه :

ـ حسنا .. اتبعانى .

وطرق الرجل الباب عدة طرقات ، وهو يعاود النظر إلى الرجلين ، بتلك النظرات المرتابة .

وفتح الباب، ليطل من خلفه وجه غادة هيفاء، ترتدى ثوبًا من (الدانتيلا) الخضراء، وقد بدت ببشرتها البيضاء الناصعة، وتفاصيل وجهها الدقيق، وذلك الشعر الأصفر الذى ينساب فوق كتفيها الصغيرتين، أشبه بملاك جميل رقيق، يصعب مقاومة جاذبيته والتأثر بإطلالته ..

قالت الفتاة للرجل الضخم الجثة، وبصوت أشبه بالموسيقى :

ـ ماذا تريد يا (رزق) ؟

نقل الرجل بصره، بين الفتاة والرجلين الذين وقفا يحدقان فى الفتاة، مأخوذين بجمالها الملائكى البديع، ثم قال بنبرات صوته الخشنة :

ـ هذان السيدان يرغبان فى مقابلة الهانم .

حوّلت الفتاة وجهها إلى الرجلين، وكأنما انتبهت إلى أنهما يحدجانها بنظراتهما، فشعرت بشىء من الخجل، اصطبغت له وجنتاها بحمرة الخجل، وزادها هذا اللون الوردى جمالاً فشعر كل من الرجلين بالعجز عن النطقّ، وقالت لهما الفتاة، وهى تشير إليهما بالدخول :

ـ تفضلا .

وقال لها الرجل الضخم الجثة، وهو لايزال يتابع الرجلين بنظراته المرتابة :

ـ هل ترغبين فى وجودى يا آنسة (نسمة) ؟

أجابته بابتسامة صافية :

ـ شكرًا يا عم (رزق) .. تفضل أنت .. يمكنك الانصراف .

وصحبت الفتاة الرجلين إلى حجرة الضيافة، قائلة بذلك الصوت الملائكى الرقيق :

ـ تفضلا بالجلوس .. سأستدعى لكما عمتى حالاً .

وأطلق (يسرى) صفيرًا خافتًا، بعد انصراف الفتاة، قائلاً :

ـ هل رأيت هذه الفتاة ؟

أجابه المنتج، قائلاً :

ـ إنها تصلح وجهًا سينمائيًا رائعًا .

(يسرى) :

ـ ملامحها الملائكية تعيد إلى الأذهان ذكرى بطلات الروايات الرومانسية القديمة .

المنتج :

ـ كنت أظن صاحبة المنزل والدتها، لكن أعتقد أنها دعتها بعمتها .

قال (يسرى) بصوت خافت، وهو يشير إلى الباب :

ـ نعم .. نعم .. أعتقد أنها هذه السيدة، القادمة نحونا .

نظر (يسرى) إلى السيدة الواقفة بالباب، فإذا هى امرأة فى الخمسينات من العمر، تبدو على وجهها ملامح الجدية والصرامة، وإن لم تخف تلك الملامح معالم جمال، لم يبدده الزمن تمامًا، وهب الرجلان لتحية السيدة، التى مدت لهما يدها لتصافحهما، وهى تحدجهما بنظراتها، وسألتهما قائلة، وهى تدعوهما إلى الجلوس :

ـ هل من خدمة يمكننى تأديتها ؟

أجابها المنتج قائلاً :

- أحب أن أقدم لك نفسى (نيازى صادق) منتج سينمائى ، وهذا زميلى (يسرى عبد الرحمن) مدير إنتاج .. فى الواقع إننا نقوم بإنتاج فيلم جديد ، وكنا بصدد البحث عن موقع مناسب لتصوير بعض أحداث الفيلم الخارجية ، عندما عثرنا على هذا المكان ، وقد وجدنا أنه ملائم تمامًا لأغراضنا .

قالت السيِّدة بدهشة :

- هل تقصد منزلى ؟

المنتِج :

- نعم .. المنزل والمزرعة .. إننا بحاجة إلى ثلاثة أيام فقط للتصوير ، وسأدفع لك عن اليوم الواحد ثلاثمائة جنيه .

أجابته قائلة :

- ولكن ...

المنتِج :

- أربعمائة .. اتفقنا ؟!

السيِّدة :

- إننى لا أتحدَّث عن النقود .. بل أعنى ..

عاد يقاطعها قائلًا :

- خمسمائة .. هذا أقصى ما يمكننى دفعه .. وأى يوم يزيد عن الثلاثة سأدفع عنه مائة جنيه زائدة .. أعتقد أن هذا اتفاق مرض لجميع الأطراف .

صمتت السيدة لحظة ، وهى تفكر ، ثم هبت واقفة ، وهى تقول لهما :

- هل تأذنان لى بالانصراف بضع دقائق ؟

أجابها المنتج

- بالطبع يا سيدتى .. تفضلى .

انصرفت السيِّدة ، ووجدت الفتاة واقفة إلى جوار الباب تنصت للحوار ، فسألتها قائلة :

- هل سمعت ما قاله الرجلان ؟

أجابتها الفتاة ، وعلى وجهها إشراقة سعادة :

- نعم .. إننى لا أصدق أنه ستتاح لى الفرصة ، لمشاهدة عملية تصوير حقيقية لفيلم سينمائى ، ورؤية أولئك النجوم الكبار هنا فى مزرعتنا ، و .....

قاطعتها عمتها قائلة :

- مهلًا .. مهلًا .. إننى لم أوافق بعد .

توسَّلت إليها الفتاة ، قائلة :

- أرجوك يا عمتى .. أرجوك وافقى .

قالت لها عمتها ، وفى عينيها نظرة اعتراض متردِّدة .

- وهل أسمح بمثل هذا العبث فى مزرعتى ؟

ثم هزت رأسها بشدة ، وكأنها تطرح الفكرة عن عقلها :

- كلا .. لا يمكننى الموافقة على شىء كهذا .

ارتسم الحزن فى عينى الفتاة ، وهى تسألها :

- لماذا يا عمتى ؟ إن تصوير هذه اللقطات لن يستغرق أكثر من ثلاثة أيام كما سمعت .

أجابتها العمة ، وهى تحاول أن ترسم نظرة صارمة فى عينيها :

- إننا أسرة محافظة ، تحترم التقاليد ، وتحافظ على المبادئ ،

والكل فى هذه البلدة يعرف عنا ذلك ، فكيف أسمح بحضور ممثلين وممثلات إلى المزرعة ، لتصوير مثل هذا الفيلم ؟. إن ذلك قد يجعلنا مثار تعليقات أهل البلدة .

قالت الفتاة محتجة :

ـ كيف تسمحين لمثل هذه الأفكار العتيقة بالتحكم فى تفكيرك يا عمتى ؟ إننى لا أرى فى تصوير بضع لقطات سينمائيـــة بمزرعتنا ، ما يمكن أن يعد تجاوزًا للتقاليد والمبادئ .. الزمن تغير يا عمتى ، ولم يعد الناس ينظرون للتقاليد والمبادئ بمثل هذا المنظار الضيق. فتسعون فى المائة من أهالى بلدتنا مثقفون متعلمون ، وأنت نفسك امرأة متعلمة مثقفة ، فكيف تسمحين لهذه الأفكار الرجعية المتزمتة بالتحكم فيك ، على هذا النحو ؟

نظرت إليها عمتها بحدة ، وقد استفزتها تلك الجملة الأخيرة فصاحت فيها مؤنبة :

ـ (نسمة) ...

وأدركت (نسمة) أنها قد تجاوزت الحدود ، فاعتذرت قائلة :

ـ آسفة يا عمتى .. لقد أسأت التعبير .

عادت عمتها تقول ، وكأنها تؤكد لنفسها حقيقة تتمسك بها ، وتحرص عليها :

ـ العلم والثقافة لا يعنيان أن نتحلل من التقاليد والقيم ، التى تربينا عليها ، يكفى ما حدث فى الماضى ، وما جلبه لنا التهاون فى مثل هذه الأمور ...

نظرت إليها الفتاة باستغراب ، قائلة :

ـ وما الذى حدث فى الماضى ؟

انتبهت عمتها إلى أنها تفوّهت بكلام ، لم يكن ينبغى أن يقال ، فقالت لها مضطربة ، وهى تسعى لتحويل مجرى الحديث :

ـ إن ظروفنا المادية الآن سيئة بعض الشىء ، وذلك المبلغ الذى عرضه علينا هذا الرجل ، يمكن أن يصلح الكثير من الأمور ، ولكن .. ولكن .. لا .. غير معقول أن أوافق على شىء كهذا .

استعطفتها الفتاة ، وهى تحاول استغلال ترددها قائلة :

ـ أرجوكى يا عمتى .. تأكدى أنه لن يكون فى هذا الأمر ما يضر إطلاقًا .. إنها ثلاثة أيام ، سيصورون خلالها بعض اللقطات ، ثم يرحلون .. كما أننا بالفعل بحاجة إلى المبلغ ، الذى عرضوه علينا .

قالت عمتها ، وقد لانت معارضتها قليلًا :

ـ ولكن أين سيقيمون ؟ ومن سيتكفل بإطعام هؤلاء ؟

(نسمة) :

ـ هذه الأمور لا تمثل مشكلة بالنسبة لهم ، فهم معتادون تدبير تلك المسائل .. إنهم سيحضرون ومعهم سياراتهم ، ولابد أنهم سيقيمون فى الفندق الصغير فى أول البلدة ، والمسافة بين الفندق ومزرعتنا لا تتجاوز ثلث الساعة بالسيارة ، أو ربما سيقيمون بعض الخيام ، أو شىء من هذا القبيل .

بدت العمة وكأنها ما زالت غير مقتنعة ، بالامتثال لذلك الأمر ، بمثل هذه السهولة ، فعادت تقول :

ـ ما زالت غير مستريحة لحضور أولئك الأشخاص إلى المزرعة .

ثم نظرت إلى ابنة أخيها ، وكانت لا تزال تنظر إليها بعيون متوسلة ، وقالت بعد تردد قصير :

ـ حسنًا .. سأوافق .. ولكن بشرط ألا تزيد إقامتهم على ثلاثة أيام فقط ، ولن أوافق على يوم واحد أزيد من ذلك ، حتى ولو كانوا سيدفعون لى الضعف ، كما قال ذلك الرجل .

هتفت الفتاة ، وهى تقفز من الفرحة ، محتضنة عمتها :

ـ إنك أجمل عمة فى الدنيا .

وتركتها عمتها عائدة إلى حجرة الضيوف ، حيث كان الرجلان يترقبان حضورها فى قلق ، وما أن رأياها حتى هبا واقفين مرة أخرى ، فقالت لهما باستعلاء ، كما لو كانت تصدر فرمانًا :

ـ حسنًا .. لقد وافقت .

تهللت أسارير المنتج ، وهو يقول لها :

ـ أشكرك يا هانم .. غدًا سنحضر فى التاسعة صباحًا ، ومعنا معدات التصوير .

ـ هل ستحضرون مبكرين هكذا ؟

أجابها قائلًا :

ـ نعم فقد تستغرق ظروف التصوير ساعات النهار بأكمله .

ثم نظر إلى مدير الإنتاج ، قائلًا :

ـ (يسرى) .. أعد عقدًا للهانم .

قالت فى حرج ، وقد فارقها استعلاؤها قليلًا :

بالنسبة لهذا المبلغ الذى ذكرته .. هل .. هل .. ستدفع الخمسمائة جنيه يوميًا طوال فترة التصوير ، أم بعد الانتهاء من التصوير ؟ فقال لها المنتج ، وهو يتأهب للانصراف .

ـ بل ستقبضين المبلغ كاملًا ، بمجرد توقيع العقد .. لا تنسى يا هانم . سنحضر فى التاسعة صباحا ، ونرجو أن تكون المزرعة خالية من أية معوقات .

أجابته بإيماءة موافقة من رأسها ، وهى تشعر بالارتياح إلى حد ما ..

ولكن هل يدوم هذا الشعور ؟

* * *



٢ ـ لقاء فى الجنة ..

وقف (رزق) يراقب تلك الحركة غير العادية ، التى تدور فى أرجاء المزرعة ، التى يقوم على حراستها ، وتلك الآلات التى يتم توزيعها هنا وهناك ، وأولئك الأشخاص الذين يدورون فى أرجاء المكان منذ الصباح ، كما لو كانوا خلية نحل ، فى شىء من الضيق والحيرة ، ثم اقترب من (درية) هانم ، صاحبة المزرعة ، التى تراقب ما يدور فى مزرعتها أيضًا ، من شرفة منزلها ، وعلى وجهها ملامح عدم الرضا ، قائلًا :

ـ لست أدرى كيف سمحت بحدوث مثل هذه الأشياء فى المزرعة يا سيدتى ؟

أجابته وهى لا تزال تحدق فيما يدور أمامها ، دون أن تنظر إليه :

ـ للضرورة أحكام يا (رزق) .. أنت تعرف الظروف التى نمر بها الآن ، والنقود التى دفعوها لنا ستساعدنا على الحفاظ على مستوى المعيشة بشكل ملائم .

(رزق) :

ـ ولكنهم قلبوا المكان رأسًا على عقب .

قالت وهى تدير ظهرها إلى الشرفة ، عائدة إلى الداخل :

ـ وماذا نفعل ؟ عملهم يقتضى ذلك .

لحق بها (رزق) ، قائلًا :

ـ ما زلت أرى أنه لم يكن هناك ما يدعو إلى ذلك ، فلو صبرنا قليلًا حتى نجنى محصول البرقوق ، فسوف تحصلين على مبلغ جيد ، يساعد على إصلاح الأمور .

تهالكت فوق أحد المقاعد ، قائلة بسخرية :

ـ محصول ؟!. هل تسمى ما نحصل عليه من القراريط التى نملكها محصولًا ؟.. إنها بالكاد تكفى مصاريف المنزل ، الذى نعيش فيه ..

وليتها أفلحت .. لقد فسد محصول العام الماضى بأكمله ، نتيجة الإهمال وعدم العناية ، فاضطررنا للتخلص منه بأبخس الأثمان ، وأنا أتوقع نفس النتيجة هذا العام أيضًا ؛ مادامت أشجار البرقوق لا تلقى الرعاية الواجبة .

(رزق) :

ـ قلت لك يا هانم أن نستعين ببعض المزارعين ، أو بأحد المهندسين الزراعيين ؛ للإشراف على زراعة الأرض ، وببعض الأيدى العاملة للإسراع بجنى المحصول فى الوقت المناسب ، ولكنك لم تستمعى إلىّ .

قالت وقد ازدادت سخريتها ، مرددة :

ـ مهندسون زراعيون وعمال ؟!. هل تظن أننا نعيش فى ذلك العهد ، الذى كانوا يصفوننا فيه بأصحاب الأعيان ؟.. لقد تغير الزمن يا (رزق) .. رحل (صدقى) بك والدى ، كما رحل (كامل) بك أخى ، وضاعت معهما الأرض والأفدنة .. أضاعها طيش أبى وأطماع زوجته وأهلها ، والباقى ضاع فى مصاريف علاج أخى (كامل) .. غير الديون .. هيه .

أطلقت زفرة حارة من صدرها ، قبل أن تقول :

ـ الحمد لله أن العشرين قيراطًا التى تبقت ، وهذا المنزل ، يكفوننا شر الحاجة ، ولو أنى لا أدرى كيف سيكون الأمر لو استمر محصول الفاكهة فى التدهور ، على هذا النحو .. إن النقود التى ستتبقى من المبلغ ، الذى دفعه لنا ذلك المنتج ، لن تكفينا لأكثر من شهرين فقط ، بعد سداد الديون التى تراكمت علينا .

وفى تلك اللحظة هبطت (نسمة) درجات السلم ، قادمة من الدور العلوى ، وقد بدت عليها علامات الانشراح والسعادة ، وهى تقول لعمتها فيما يشبه صراخ طفلة صغيرة :

ـ عمتى .. لقد رأيتهم من النافذة .. أخذت أرقبهم لعدة ساعات وهم يوزعون آلات التصوير ويرتبون العمل ..

لقد أشاعوا فى المكان جوًا رائعًا ، من الحيوية والنشاط ..

ما أجمل هذا !! هل رأيت (وحيد حمدى) ؟

قالت عمتها متبرمة ، وهى تردد الاسم :

ـ (وحيد حمدى) ؟!

استمرت الفتاة فى صراخها ، وهى تقول :

ـ نعم (وحيد حمدى) .. كيف لا تعرفينه ؟ (وحيد حمدى) النجم السينمائى المرموق ، صاحب الابتسامة الساحرة .. لقد رأينا أفلامه فى (التليفزيون) الأسبوع الماضى .. فيلم (قلوب حائرة) .. تصورى أنه هنا فى مزرعتنا .

قالت العمة ، وهى تتشاغل عنها بتنظيف إحدى أوانى الزهور :

ـ لا أعتقد أن ابتسامته ساحرة كما تقولين ، كما أن الفيلم نفسه كان رديئًا ، ولم يعجبنى .

قالت (نسمة) محتجة :

ـ حرام عليك يا عمتى .. لقد أدى دورًا رائعًا .. كل أدواره رائعة .. هل تعرفين من معه ؟ إنها النجمة الكبيرة (نادية فوزى) .. هل تعرفين أنها تبدو أجمل مما نراها على الشاشة ، لولا بعض التجاعيد القليلة التى يحاولون إخفاءها بأدوات الزينة .

قالت عمتها ، وقد ازداد تبرمها :

ـ (نسمة) .. ألا تكفين عن هذه الثرثرة ؟.. لدى الكثير مما يشغلنى ، أكثر أهمية من نجومك هؤلاء .

والتفتت إلى (رزق) ، قائلة :

ـ (رزق) .. اذهب أنت لتحضر الطلبات ، التى كلفتك إياها .

أجابها قائلًا :

ـ كما تأمرين يا سيدتى .

استوقفته قائلة :

ـ يجب أن تعود سريعًا ؛ لتراقب المزرعة ، وتقوم على رعايتها ، فأنا لا أريد أن يعبث أحد أولئك المهرجين بمحصول البرقوق .

(رزق) :

ـ حالًا يا هانم .

انصرف (رزق) فى الحال ، فى حين قالت العمة لابنة أخيها :

- (نسمة) .. ألن تأتى معى إلى المطبخ ؟

قالت (نسمة) بصوت يفيض بالرجاء :

- سألحق بك يا عمتى ، ولكن أرجو أن تسمحى لى بساعة واحدة فقط ، أشاهد خلالها تلك الطريقة ، التى يصورون بها الأفلام السينمائية عن قرب .. هل تسمحين لى بذلك ؟

اعترضت العمة قائلة :

- كلا .. لا أحب لك أن تختلطى بهؤلاء القوم عن قرب ، إن لهم مناخا يختلف عن مناخنا .

استعطفتها (نسمة) قائلة :

- لن أختلط بهم .. سأشاهدهم فقط .

- شاهديهم من نافذة غرفتك .

(نسمة) :

- ولكننى أريد رؤيتهم عن قرب .. أرجوك يا عمتى .

- يا لك من عنيدة ... حسنًا .. ولكن لساعة واحدة .

هللت (نسمة) قائلة ، وهى تندفع نحو الباب الخارجى :

- أشكرك يا عمتى .

نادت عليها عمتها ، قائلة :

- لا تتحدثى مع أحد منهم .

صرخ (عز الدين صبرى) مخرج الفيلم ، فى الشخص الواقف أمامه :

- لم تجهز بعد .. كيف لم تجهز بعد ؟ هذا يعد استهتارًا وتهريجًا .

ارتعد الرجل أمام الصوت الجهورى الغاضب للمخرج ، قائلًا :

- وما ذنبى أنا يا أستاذ (عز) لقد أخبرتها بأنك تريدها جاهزة للتصوير منذ ساعة ؟

عاد (عز الدين) يزأر فى وجه الرجل ، قائلًا :

- ألم ينته (الماكيير) من عمله معها ؟

- نعم منذ نصف ساعة .

- إذن فيم الانتظار ؟

- تقول : إنها تشعر بصداع وتحتاج لعشر دقائق أخرى ؛ لتستعيد تركيزها .

ازدادت حدة المخرج ، وهو يصيح :

- صداع ؟! لماذا ؟ ألم تحتمل الهانم المرهفة مشقة الطريق ؟

ثم التفت إلى المنتج ، الذى كان قادمًا نحوه ، قائلًا :

- تفضل يا أستاذ (نيازى) .. إننا لم ننم منذ ليلة أمس ، ونحن نحاول تفصيل الدور على الست (نادية) وجعلها ملائمة له ، ثم نحرق دمنا فى تجهيز وإعداد اللقطات منذ الصباح ، وتأتى هى بكل بساطة لتقول : إن لديها صداعاً وتحتاج لعشر دقائق ، حتى يستعيد ذهنها تركيزه ؟! لا مبالاة واستهتار .

حاول المنتج أن يهدئ من ثائرته ، قائلًا :

- هدئ أعصابك يا أستاذ (عز) .. لا بأس من انتظار عشر دقائق أخرى .. ربما كانت متعبة بالفعل ، وإذا ما استردت حالتها الطبيعية ، كان ذلك فى صالح اللقطات القادمة .

قال المخرج ، دون أن يتخلى عن حدته :

- أنا لا أعرف مثل هذا الكلام المائع ، ما أعرفه هو أن الممثل الذى يعمل معى يجب أن يكون جاهزًا ، فى الوقت الذى أحتاج إليه فيه ، وما عدا ذلك فإننى أعده استهتارًا .

قال المنتج محاولًا استرضاءه :

- حسنًا .. حسنًا .. سأذهب لاستدعائها بنفسى .

قال المخرج بلهجة تنمّ عن سخطه :

- تذهب .. أو لا تذهب .. لقد قلت لك منذ البداية : إننى غير مقتنع بأن (نادية فوزى) تصلح لهذا الدور .

المنتج :

- هل سنعود لنناقش هذا الأمر من جديد .. لقد قلت لك : إن (نادية فوزى) نجمة شباك ، ونحن بحاجة لنجمة شباك ؛ لتغطية مصاريف الفيلم الضخمة ، فضلًا عن أن النقاد قد أشادوا بها وبأدائها ، فى أكثر من فيلم ، وأنت نفسك وافقتنى على ذلك .

المخرج :

- افهمنى يا (نيازى) .. (نادية فوزى) نجمة شباك .. لست أعترض على ذلك .. ممثلة جيدة .. لا أختلف معك أيضًا ، ولكنها لا تصلح لهذا الدور ؛ فالفيلم الذى أخرجه من طراز الأفلام الرومانسية الناعمة ، وهذه النوعية من الأفلام تحتاج أيضًا إلى نوعية معينة من الممثلات ، من حيث الشكل .. والأداء وحتى الصوت . إن (نادية فوزى) يعرض لها الآن فى السوق فيلم ، تقوم فيه بدور راقصة ، ويعتمد على الإغراء ، فكيف يشاهدها الجمهور بعد ذلك فى دور فتاة فى التاسعة عشرة من عمرها ، تمثل رواية رومانسية ؟

المنتج :

- لقد استعرضنا معًا أسماء الممثلات الأخريات ، فلم نجد بينهم من تصلح لأداء الدور ، واتفقنا على أن (نادية) أفضلهم .. على الأقل من حيث الشهرة والنجومية .

المخرج :

- ولكنها مدلّلة أكثر من اللازم .

وفى تلك اللحظة اقتربت (نادية فوزى) من موقع التصوير قائلة للمخرج :

- هأنذا قد حضرت .. لم يكن هناك ما يدعو إلى إحداث كل هذه الضجة .

أثارت هذه الجملة حنقه ، فقال لها وقد عاد صوته يعلو من جديد :

- يبدو أن المخرجين ، الذين تعاملتى معهم قبلى ، لم يعلموك كيف تحترمين العمل الذى تؤدينه ، وتقدرين قيمة الدقائق ، التى تضيعينها فى زينتك ، وفى التعلل بالأعصاب المرهقة .

واحتدّت بدورها قائلة :

- ليست جريمة أن تكون أعصابى متعبة ، وأن ينتابنى الصداع ، والمخرجون الذين تعاملت معهم قبلك يقدرون مثل هذه الظروف ، ويعرفون كيف يتعاملون مع الظروف المفاجئة ، التى يتعرض لها كل ممثل ، أما عن احترامى للعمل .....

شعر المنتج أن هذا الأسلوب فى المناقشة سينتهى نهاية سيئة ، فتدخّل قائلًا :

- كلنا متعبون ومرهقون ، ويبدو أن مشقة السفر والإعداد لهذا الفيلم قد أثرت على أعصابنا كلنا .. لماذا لا ننس الأمر ، ونبدأ فى التصوير ؟

ولكن المخرج ، الذى اشتدت عصبيته ، لم يقبل بانتهاء الموقف على هذا النحو ، فانفعل قائلًا :

ـ هل ستعرفيننى عملى ؟.. لقد تعاملت مع عشرات من أمثالك ، وكنت .....

تدخل المنتج مرة أخرى ، قائلًا :

ـ يا أستاذ (عز) .. إننى أعتذر لك نيابة عنها ، بل أعتذر لكليكما ـ دعنا لا نضيع الوقت أكثر من هذا .

ألقى المخرج نظرة على ساعته ليجد أنه أضاع من الوقت أكثر مما يجب ، مما جعله يحجم عن المناقشة ، فالتفت إلى بطل الفيلم ، الذى كان يراجع السيناريو ، قائلًا :

ـ أستاذ (وحيد) أأنت جاهز ؟

رد عليه قائلًا :

ـ جاهز .

المخرج :

ـ حسنًا .

ثم نظر إلى الممثلة (نادية فوزى) ، وقد جعله الاندماج فى العمل مرة أخرى ينس كل غضبه وثورته عليها ، قائلًا :

ـ إسمعى يا (نادية) ..ستأتين من هذا الطريق ، ثم تندفعين بسرعة داخل هذه الحديقة ، حتى تصلى إلى هذه الشجرة ، والدموع تنساب من عينيك ، ثم تتوقفين قليلًا أمام الشجرة ، وأنت تلهثين ، لتتأمليها لحظة قصيرة ، ثم تسمعين صوت (وحيد عزت) ، الذى سيأتى من الجهة الأخرى ، وهو يتحدث إليك من خلفها .. هل تحفظين الحوار جيدًا ؟

قالت وقد تناست بدورها الخلاف بينهما :

ـ نعم .

المخرج :

ـ حسنًا .. فلنبدأ .

انطلق صوت عامل (الكلاكيت) ، قائلًا :

ـ (كلاكيت) .. أوّل مرة .. فيلم (لقاء فى الجنة) .

وبدأ الممثلان فى تأدية أدوارهما كما رسمها لهما (السيناريو) ووفقًا لتوجيهات المخرج ، وكانت (نسمة) تراقب كل ذلك ، وهى تختفى وراء إحدى الشجيرات الصغيرة ، وفى عينيها نظرة انبهار ودهشة ..

لقد كانت تشاهد حلمًا ..

حلمًا عاش فى أعماقها طويلًا ..

طويلًا جدًا .

* * *



٣ ـ وجه ملائكى ..

صاح المخرج قائلًا بانفعال :

ـ (ستوب) .

ثم اندفع كالأسد الثائر ، نحو الممثلة (نادية فوزى) ، قائلًا :

ـ ألن ننتهى من إعادة تصوير هذه اللقطة ؟. إنك تتجاوزين الانفعال المطلوب للمشهد .. ونظرة التردّد .. أين نظرة التردّد التى طلبت أن أراها فى عينيك ؟.. إن البطلة هنا تعانى صراعاً داخليًا ، بين عواطفها نحو البطل ، والتزامها نحو ذلك الرجل المريض الذى أحبّها ، وهذا الصراع يجب أن يبدو واضحًا فى عينيها .. هل سأشرح لك هذا مائة مرة ؟

وقفت الممثلة أمامه جامدة كالتمثال ، لا تقول شيئًا ، وإن تجلّت على ملامحها معالم ثورة مكبوتة ، فى حين اتجه المخرج نحو بطل الفيلم ، قائلًا :

ـ وأنت يا أستاذ (وحيد) .. أريد أن تبدو أكثر حدةً ، وأنت تؤدى هذا المشهد ؛ فالمفروض أنك تدافع عن حبك الوحيد ، وهو يسلك طريقه إلى الضياع .

ووقف منتج الفيلم يراقب كل هذا ، وهو فى حالة لا توصف من التوتر والقلق ، الذى انعكس على بقية العاملين فى الفيلم ، ثم عاد المخرج للجلوس فوق مقعده مرة أخرى ، قائلًا :

ـ استعدوا .. سنعيد المشهد مرة أخرى .

كانت (نسمة) ما تزال فى موقعها خلف الشجيرة ، تراقب ما يدور أمامها ، وقد خفت حالة الانبهار التى تملكتها منذ لحظات قليلة ، ولكنها ظلت مشدودة إلى ما يدور أمامها . وفجأة انتفضت فى مكانها ، إثر سماعها لصوت يأتى من خلفها قائلًا :

ـ هل خاب أملك ؟

التفتت سريعًا ، لتجد أمامها شابًا يبدو فى الثلاثين من عمره ، أو تجاوزها قليلًا .. متوسط القامة .. يتميز بمنكبين عريضين ، وشعر كستنائى ، وعينين عسليتين تحملان بعض ملامح السخريةَ ، وقدّم لها نفسه قائلًا :

ـ اسمى (عصام) .. (عصام زهدى) .. كومبارس ، من ضمن العاملين فى هذا الفيلم السخيف .

نظرت إليه دون أن تنطق بكلمة ، فعاد يقول :

ـ أظنك ابنة صاحبة هذه المزرعة .. أليس كذلك ؟

ولكن (نسمة) أخذت تنظر يمينًا ويسارًا ، وهى صامتة ، فقال لها وقد ازدادت النظرة الساخرة وضوحًا فى عينيه :

ـ ألا تنطقين ؟... هل أخفتك ؟

ازدردت لعابها وهى تقول :

ـ نعم .

ابتسم قائلًا :

ـ آسف .. لم أقصد ذلك ، ولكنى رأيتك تحدقين فيما يدور أمامك بانبهار شديد ، سرعان ما أخذ يتراجع تدريجيًا ، وهذا ما دعانى إلى سؤالك عما إذا كان قد خاب أملك فيما يتصوره الجميع ، عن متعة العمل السينمائى ، وبراعة النجوم الذين نشاهدهم على الشاشة .

ولم ينتظر منها إجابة ، بل تابع حديثه قائلا :

ـ إننى لا ألومك ، لو كان هذا شعورك ، فأنا أيضا قد خاب أملى منذ عدة سنوات ، فى الكثير مما يدور فى هذا المجال ، وفيمن كنت أعدهم نجومًا كباراً ، منذ بدأت العمل فى الحقل السينمائى .

وصمت برهة فى انتظار أى تعليق منها ، ولكنها ظلت لائذة بالصمت ، فتابع حديثه قائلًا :

ـ ليس كلهم بالطبع .. ولكن خذى مثلًا ، واحدة مثل (نادية فوزى) هذه .. إننى أرى أنها قد أخذت من الشهرة أكثر مما تستحقه ، فهى لا تجيد سوى نوعية واحدة من الأدوار ، هى التى صنعت منها نجمة شباك ، ولكنها لم تخلق منها مطلقًا ممثلة من ذلك النوع ، الذى يمكننا وصفه بأنه من المستوى الرفيع .

خرجت (نسمة) عن صمتها هذه المرة ، وهى تقول بحماس :

ـ كيف تقول هذا ؟ إنها من أحسن الممثلات التى شاهدتهن طوال حياتى .. لقد كانت رائعة فى فيلم (قلوب حائرة) و ....

عادت نظرة السخرية تطلّ من عينيه مرة أخرى ، وهو يقاطعها قائلًا :

ـ إنك تعرفين كيف تتحدثين إذن ؟ ومع ذلك ففيلم (قلوب حائرة) هذا أنتج منذ ثلاثة عشر عامًا ، وكان عمر (نادية فوزى) وقتها سبعة وعشرين عامًا ، وقد كررت هذا الدور بأساليب مختلفة فى خمسة عشر فيلمًا آخر ، حتى بعد أن بلغت الأربعين من عمرها

قالت له (نسمة) بإصرار :

ـ هذا عيب المؤلفين والمخرجين ، الذين يسندون إليها نفس النوعية من الأدوار .

رد عليها قائلا :

ـ وعيب الممثلة أيضا ، التى تقبل أن تكرر نفسها على هذا النحو ، متجاهلة عامل الزمن والخبرة ، واختيار نوعية الأدوار .

(نسمة) :

ـ لماذا تتحامل عليها هكذا ؟

قابل دفاعها المتحمس بابتسامته الهادئة ، التى تنطوى على شىء من السخرية ، قائلًا :

ـ أنا لا أتحامل عليها ، ولكننى أقدم لك مثالًا صغيرًا لبعض النجمات اللاتى يتخذهن البعض مثلًا أعلى ، وإن كنت أقصر حديثى على حرفية العمل السينمائى ، دون التطرق إلى الحياة الخاصة ، لتلك النجمات الكبيرات ، فلا أظن أنه من اللائق التحدث عن ذلك ، إلى فتاة صغيرة مثلك ، ولكن خلاصة القول أن تلك الحياة الخاصة على الرغم من خصوصيتها ، إلا أنها تنمّ عن شخصية المرء .. هذه الشخصية التى لو اطلعت على أسرارها ، فمن المؤكد أنك سترفضين أن تتخذى منها مثلًا أعلى .

قالت له (نسمة) متهكمة :

ـ يبدو أن السبب الحقيقى لتحاملك عليها هو أنها نجمة كبيرة ، لها رصيدها الضخم من المعجبين ، فى حين ما تزال أنت مجرد كومبارس مغمور ، يبحث لنفسه عن فرصة .

ولم يتخل عن ابتسامته ، على الرغم من كلماتها المهينة ، قائلًا :

- لو كان هذا صحيحًا ، لكان هذا رأيى بصفة عامة فى الآخرين والأخريات من النجوم ، فأنا أحترم وأقدر نجومًا كبارًا ، من أمثال (فريد ذهنى) و (وحيد حمدى) و (ليلى كريم) ، و (سميحة ناصف) ، فأمثالهم يعرفون كيف ينتقون أدوارهم ، وكيف يبرعون فى أدائها ، فضلًا عن أنهم يحترمون فنهم وأنفسهم .. أقول هذا على الرغم من أننى كومبارس مغمور ، يبحث لنفسه عن فرصة كما قلت .

بدا الأسف على وجهها ، وهى تقول :

- آسفة .. لم أقصد أن أجرحك .. وعلى كل حال هذا رأيك ، وأنت حر فيه .

ظلت الابتسامة على وجهه ، وهو يقول :

- إننى لست مثاليًا يبحث عن الكمال ، فأنا أنتمى لهذا المجتمع الذى ترينه .. وأنا بالفعل أسعى وراء فرصة ، لكى أقفز إلى الصفوف الأمامية .. أبحث عنها بأى وسيلة وأى ثمن ، فأنا أحب الفن السينمائى ، ويداعبنى بريق الشهرة والنجومية ، لكنى فقط أردت أن أطلعك على الواقع الحقيقى لإحدى الفنانات ، بعيدًا عن زيف الشاشة البيضاء .

قالت وقد عاودتها العصبية :

- قلت لك من قبل إن هذا هو رأيك ، ولست ملزمة بالطبع بالاقتناع به .

سألها وقد ازدادت ابتسامته اتساعًا ، لدى رؤيته عصبيتها :

- ولماذا انفعلت هكذا ؟ هل تعرفين أن الانفعال يزيدك جمالًا ؟

تأهبت للانصراف ، وقد قطبت جبينها ، ولكنه استوقفها قائلًا :

- هل تسمحين لى أن أقول شيئًا آخر ؟

وقفت مكانها دون أن تنظر إليه فاستطرد قائلًا :

- لقد رأيت فى مجال عملى الكثير من الجميلات ، ولكنك أجمل من رأته عيناى ، فلك وجه ملائكى ، يصعب على المرء مقاومته .

تضرجت وجنتاها بحمرة الخجل ، لدى سماعها هذا القول ، وشعرت أن قلبها يخفق بشدة ، إذ أنها لم تسمع طوال حياتها المنغلقة فى هذا المكان ، مثل تلك الكلمات ، واندفعت تركض فى اتجاه المنزل بسرعة ، وكأنها تخشى أن يسمع صوت خفقان قلبها ، ويكشف تأثير تلك الكلمات التى قالها على مشاعرها العذراء ، ولكنه هتف قائلًا :

- لم تخبرينى حتى اسمك .

وقفت على بعد خطوتين من المنزل ، وقد تملكها الارتباك ، وهى لا تدرى أتخبره باسمها أم لا ؟ ، ولكنها لم تقل شيئًا ، بل تابعت اندفاعها نحو المنزل ، وسمع (عصام) صوتًا يأتى من خلفه ، قائلًا :

- اسمها (نسمة) ، لو كان هذا يعنيك ، وصاحبة هذا المنزل والمزرعة هى عمتها .. أيكفيك هذا ؟

التفت (عصام) نحو صاحب الصوت ، ووجد مدير الإنتاج واقفًا ، وهو يتابع معه مراقبة الفتاة فى أثناء انصرافها ، واندهش (عصام) لرؤيته ، فقال :

- أستاذ (يسرى) !..

قال (يسرى) وفى عينيه نظرة لوم :

ـ نعم يا سيد (عصام) .. هل سنظل منتظريـن حضور سيادتك ، عندما يبدأ المشهد القادم حتى تنتهى من حديثك مع هذه الفتاة ؟

ألا تعرف مع من تعمل ؟ إنك تعمل مع (عز الدين صبرى) ، وهو رجل لا يرحم من يعمل معه . ألـم تر ما فعلـه مع (ناديـة فوزى) ؟

قال (عصام) :

ـ حسنًا .. حسنًا .. سأكون جاهزًا خلال ثوان .

(يسرى) :

ـ تفضل يا أستاذ .. يجب أن تكون جاهزًا قبل انتهـاء ثلاث دقائق من الآن .

والتفت (يسرى) وراءه حيث اتجهت الفتاة ، وهـو يطلـق زفرة عميقة ، قائلًا لنفسه .

ـ ولو أنى لا ألومك مطلقًا لو نسيت دورك ، والفيلـم ، وكل شىء أمام فتاة لها مثل هذا الوجه .

* * *

اقترب (نيازى صادق) ، منتج الفيلم ، من المخرج قائلًا :

ـ أستاذ (عز) .. إنها تنوى الرحيل .

قال له (عز الدين صبرى) :

ـ فلترحل .. إنها لا تصلح للدور .

ارتسم الذعر على وجه المنتج ، وهو يقول :

ـ بعد كل هذا الشوط الذى قطعناه .

(عز الدين) :

ـ لقد كان هذا رأيى من البداية .. (نادية فوزى) لا تصلح لأداء هذا الدور .. وأنت الذى أجبرتنى على تحمّلها ، وتحمل سخافاتها .

(المنتج) :

ـ ولكن .....

(عز الدين) :

ـ لن أقبل كلمة لكن .... الأمر ليس شخصيًا بينى وبينها ، على الرغم من أنها إنسانة مدللة ، كثيرة المتاعب بالفعل ، ولكنها مسألة مبدأ .. إنها غير ملائمة للدور ، ولن أقبل القيام بعمل لست مقتنعًا به .. لك الخيار إما أنا أو هى .

أسند المنتج رأسه بيديه ، وقد اعتراه الهم والقلق ، فقد كلفه هذا الفيلم الكثير ، وكان يضع الكثير من الآمال على إسم (نادية فوزى) ، ولكن من الواضح أنه قد أصبح من المستحيل أن يحدث أى تعاون بين (نادية فوزى) ومخرج الفيلم بعد اليوم ، وهذا معناه إلغاء معظم المشاهد التى تم تصويرها خلال اليومين الماضيين ، كما أنه لا يأمن أن يعهد بفيلمه لأى مخرج آخر ، غير (عز الديـن صبرى) ، خاصة وأن هذا يقتضى دراسة جديدة للسيناريو ، ورؤية مختلفة للمخرج الآخر ، ومصاريف أخرى .

وشعر أنه غير قادر على التفكير ، وأنه بات فى ورطة حقيقية ..

وتركه (عز الدين) مستغرقًا فى تفكيره ، واتجه نحو مدير الإنتاج ، قائلًا :

ـ هل تستطيع أن ترشدنى لمكان أغسل فيه وجهى ؟

قال مدير الإنتاج :

ـ يمكننا أن تذهب إلى منزل صاحبة المزرعة .

(عز الدين) :

ـ لا .. لا داعى لذلك .. ألا يوجد صنبور ماء فى هذه الحديقة ؟

(يسرى) :

ـ بالطبع .. ولكن هناك دورة مياه ، تستطيع أن تغسل وجهك فيها على نحو أفضل ، كما ...

قاطعه قائلاً :

ـ لا .. لا داعى لذلك .. ارشدنى فقط إلى صنبور الماء .

كانت (نسمة) واقفة بشرفة المنزل ، عندما رأت (عز الدين صبرى) وهو يتجه نحو صنبور الحديقة ، ويفتحه ويغسل وجهه ، فاندفعت الفتاة إلى الداخل ، لتتناول إحدى المناشف المعلقة ، وأسرعت تركض فى اتجاه المخرج ، ووقفت أمامه وهى تلهث ، فى اللحظة التى انتهى فيها من غسل وجهه وقدمت له المنشفة قائلة :

ـ تفضل يا أستاذ (عز الدين) .

تناولها منها قائلاً ، والماء يقطر على وجهه .

ـ أشكرك .

وأخذ ينشف وجهه ثم ردها إليها ، ولكن ما إن وقع نظره عليها حتى اتسعت حدقتاه بشدة ، وهو يسألها قائلاً :

ـ من أنت ؟

قالت وقد شعرت بوجل من نظراته :

ـ أنا .. أنا .. (نسمة) .

أمسك مرفقيها فجأة ، هاتفًا :

ـ إنها هى ... هى التى تخيلتها لأداء هذا الدور .

وارتجف جسد (نسمة) فى شدة .

* * *

٤ ـ مصيدة الحب ..

اندفع المنتج نحو مدير الإنتاج ، قائلاً بلهفة :

ـ ماذا فعلت يا (يسرى) ؟ هل استطعت إقناعها ؟

قال (يسرى) ، وعلامات الضيق بادية على وجهه :

ـ مع الأسف كلا .. الفتاة مترددة بين القبول والرفض ، ولكن المشكلة الحقيقية فى تلك العجوز عمتها .. إنها ترفض حتى مناقشة الفكرة ، وترى أن مجرد عرضها نوع من الإهانة .. تصور أنها كادت تطردنى من منزلها .

تهالك (نيازى) فوق مقعده ، قائلاً :

ـ وماذا سنفعل ؟ ذلك الرجل يصر على اختيار الفتاة للفيلم ، وأنت تعرف كم هو عنيد ، فإذا أصر على شىء ، لابد أن يُنفذ .

(يسرى) :

ـ لا أدرى لماذا ترضخ دائمًا لطلبات ذلك الرجل غريب الأطوار ؟

(نيازى) :

ـ لأنى أثق فى عبقريته كمخرج ، ولأنه فات الأوان للتخلص منه ، بعد أن قطعنا هذا الشوط فى إعداد الفيلم ، وتلك المصاريف الباهظة التى تكلفناها ..

المشكلة الآن هى كيف نقنعه بالتخلى عن التمسك بهذه الفتاة ، لبطولة الفيلم ، واختيار بديلة أخرى ؟ ولا أعتقد أنه سيوافق على أية حال .

(يسرى) :

ـ لقد بذلت أنت عدة محاولات مع عمة الفتاة ، وأنا عملت كل ما بوسعى ، وقدمت كل الإغراءات ، لكى تعمل هذه الفتاة لحسابنا ، ولكن كل محاولاتنا باءت بالفشل ؛ فتلك العجوز لا تقل عنادا عن ذلك المخرج ، فضلا عن أن الفتاة برغم انبهارها بالفكرة إلا أنه من الواضح أنها لا تستطيع أن تعصى لتلك السيدة أمرا ، وليست لديها أية نية لمخالفة إرادتها .

أطلق (نيازى) زفرة طويلة ، قبل أن يمسك سماعة الهاتف قائلا :

ـ حسنا .. سأجرى معه محاولة أخرى .

تناول سماعة الهاتف ، قائلا :

ـ نعم يا أستاذ (عز) .. لقد بذلنا كل ما نستطيع بذله ؛ لإقناع تلك الفتاة بالعمل فى الفيلم حسبما أردت ، ولكن يبدو أننا لن نستطيع أن نحقق ذلك ؛ فعمة الفتاة ترفض ذلك العرض شكلا وموضوعا .

رد عليه (عز الدين) بعصبيته المعهودة :

ـ قلت لك من قبل يا (نيازى) : لا شأن لى بما تبذلونه من محاولات .. أنا أريد هذه الفتاة بطلة لفيلمى ، وعليكم أن تحققوا ذلك بأية صورة ، وإلا فلن أستمر فى العمل معكم .

(نيازى) :

ـ ولكن يا أستاذ (عز) .. المشكلة تكمن فى .....

قاطعه (عز الدين) قائلا :

ـ المشكلة هى مشكلتكم الآن .. لو أردت أن أقوم بعملى حتى النهاية فى هذا الفيلم ، فعليك أن تحضر لى هذه الفتاة .

(نيازى) :

ـ ولكنها بلا أية خبرة فى التمثيل ، ولا نعرف إذا كانت ستصلح للقيام بعبء البطولة فى فيلم كهذا أم لا ، فضلًا عن أنها غير معروفة للجمهور .

(عز الدين) :

ـ لقد تحدثنا فى هذا الموضوع من قبل ، وقلت لك أن هذا ليس من شأنك .. مسألة الأداء ومواجهة الكاميرات هذه مسألة تخصنى ، وأنا أعرف كيف أتحكم فيها ، أما مسألة عدم معرفة الجمهور لها ، فهذا أمر يمكن تدبيره ، عن طريق الدعاية ، وأنت تعرف أن الدعاية تفعل الأعاجيب .. المهم إحضار الفتاة .

(نيازى) :

ـ وهذا هو أصعب ما فى الأمر .. ألا يمكننا التفاوض مرة أخرى مع (نادية فوزى) ؟ ربما ..

قاطعه (عز الدين) بانفعال ، قائلًا :

ـ لقد انتهينا من موضوع (نادية فوزى) هذا .. (نيازى) : إنك تضيع وقتى ووقتك ، فأنت تعرف أننى لا أتراجع عن كلمة قلتها .. لا تتصل بى بعد الآن ، إلا إذا كنت قد وقعت عقدًا مع الفتاة ..

ثم وضع السماعة بعنف ، ووضع (نيازى) سماعة الهاتف بدوره ، وهو ينظر إلى (يسرى) قائلًا :

ـ يبدو أنه لا فائدة .

ونهض من مقعده ، وقد عقد يديه خلف ظهره ، ثم أخذ يسير فى أرجاء الغرفة ذهابًا وإيابًا ، وعلى وجهه ملامح الهم ، قبل أن يلتفت إلى (يسرى) ، قائلًا :

- ما رأيك لو عرضنا على عمة الفتاة مبلغًا أكبر ؟

(يسرى) :

- يا (نيازى) بك .. المشكلة ليست مشكلة نقود .. المشكلة تكمن فى أن تلك السيدة ترى أن عمل ابنة شقيقها فى السينما أشبه بالعار .. إنها من ذلك الطراز العتيق ، الذى ينظر إلى ذلك الفن على أنه خروج على التقاليد ، وأنه إذا كان من الممكن مشاهدته والاستمتاع به ، فإنه لا يُغفر لم يعملون به ، لذا فالإغراء المادئ لن يجدى .

أطرق (نيازى) برأسه أرضًا ، قائلًا فى يأس :

- إذن فلا مناص من الاستعانة بمخرج آخر ، والبدء من جديد .. وإن كنت لا أدرى كيف سيمكننى تدبير موارد مالية أخرى ؟

سادت لحظة من الصمت بين الطرفين ، قطعها (يسرى) قائلًا :

- ربما أمكننا اللجوء إلى وسيلة أخرى .

تطلع إليه (نيازى) ، قائلًا بلهفة :

- وما هى ؟

بدا (يسرى) مترددًا ، وهو يقول :

- لا أدرى إذا كانت ستفلح أم لا ، ولكنها على كل حال ستكون محاولة .

(نيازى) :

- قل ما عندك ، ولا داعى لكل هذه المقدمات .

(يسرى) :

- لكى توافق تلك الفتاة على القيام ببطولة الفيلم ، ضد إرادة عمتها ، يجب أن تقع تحت تأثير أقوى .. أقوى من سلطان تلك العمة .. ولا يوجد أقوى من الحب كمؤثر .

(نيازى) :

- ماذا تعنى ؟

(يسرى) :

- أعنى أنها لو أحبت شخصًا ما ، فسوف يجعلها هذا الحب قادرة على مخالفة عمتها ، خاصة لو كان هذا الشخص يعمل لحسابنا .

(نيازى) :

- ما زلت لا أفهم ؟

(يسرى) :

- هل تعرف ذلك الكومبارس ، الذى يعمل معنا فى الفيلم ، والمدعو (عصام زهدى) ؟

أخذ (نيازى) يعصر تفكيره مرددًا :

- (عصام زهدى) .. (عصام زهدى) .. آه .. ذلك الشاب الوسيم ، الذى يلقبونه بـ (الدون جوان) ..

لقد كانت له قصة غرامية ملتهبة مع الممثلة (شاهيناز) ، وكاد بعض المخرجين يرشحونه للأدوار الأولى إثر هذه القصة ، لما أحدثته من ضجة ، ولما يتميز به من وسامة ، ولكنهم يقولون أنه يفتقر إلى الموهبة التمثيلية .. ماذا بشأنه ؟

(يسرى) :

- لقد رأيته يتحدث مع تلك الفتاة ، فى أثناء قيامنا بالتصوير فى المزرعة ، وأستطيع أن أتنبأ مما رأيته ينعكس على وجنتيها بالاحمرار ، من أنه تمكن من النفاذ إلى قلبها ، فـ (عصام زهدى) قد يفتقر إلى موهبة التمثيل أمام الكاميرا ، لكنه ليس كذلك فى الطبيعة ، ولا يصعب عليه الاستحواذ على إعجاب فتاة بريئة ، قليلة الخبرة كهذه ، فإذا استطعنا أن نستخدمه للعمل لحسابنا ، لكى يظفر بقلب الفتاة ومشاعرها ، لن تكون هناك مشكلة فى توقيع العقد معها ، خاصة وأن لديها الاستعداد .

(نيازى) :

- وهل سننتظر عدة أشهر ، حتى يتمكن مرشحك هذا من إيقاع الفتاة فى شباكه ، لنجعلها توقع معنا عقد بطولة الفيلم ؟

قال (يسرى) ساخراً :

- عدة أشهر ؟! أؤكد لك أن الأمر لن يتجاوز أسبوعاً واحداً ، وربما أقل ، فأنت لا تعرف (عصام زهدى) .. إن فتاة ساذجة كهذه ، لم تغادر المزرعة إلا مرات معدودة ، ستسقط بسهولة فى شباك (عصام زهدى) .. فهو صيّاد ماهر ، وهى ليست صعبة المنال .

(نيازى) :

- وكيف سنقنعه بذلك ؟

(يسرى) :

- الأمر ليس بحاجة إلى إقناع .. إنه سيوافق فى الحال ، فأنا أعرف أن ظروفه المادية صعبة للغاية هذه الأيام ، كما أنه ليس ممن يتمسكون كثيراً بالمبادئ ، فإذا عرضنا عليه مبلغاً معقولاً ..

ولم ينتظر (نيازى) حتى ينتهى الآخر من حديثه ، بل قال له :

- أحضر لى (عصام) هذا فوراً .. أريد أن أراه الليلة فى مكتبى .. الليلة .

* * *

دخل (عصام) إلى غرفة المكتب الأنيقة ، وبرفقته (يسرى) ، الذى قدمه إلى رجل الأعمال المعروف ومنتج فيلم (لقاء فى الجنة) (نيازى صادق) ، الذى وقف يصافحه بحرارة أدهشت (عصام) ، فلم يكن هذا الرجل يلتفت إليه من قبل ، هو أو زملاؤه من الكومبارس ، بل ربما لم يكن يدرك شيئاً عن وجوده ، على الرغم من أنه ظن أنه سيلفت بعض الأنظار ، إثر ذلك المقال ، الذى نشرته مجلة الفنون ، عن علاقته القديمة بالممثلة (شاهيناز) ..

وقال له (نيازى) ، بعد أن دعاه إلى الجلوس :

- أظن أن (يسرى) قد شرح لك الدور المطلوب منك .

أجابه (عصام) بهدوء :

- نعم .. وإن كنت لم أعط موافقتى بعد .

قطب (نيازى) جبينه ، قائلاً :

- إذن .. لماذا أنت هنا ؟

قال (عصام) بنفس النبرة الهادئة :

- لأنه قيل لى إنك ترغب فى مقابلتى ، والتحدث معى شخصياً .

نظر (نيازى) إلى (يسرى) بغضب ، فتدخَّل قائلاً :

- أعتقد أن (عصام) يريد أن يتفق معك أولاً ، على المسائل

المادية والمزايا التى سيحصل عليها ، وما شابه ذلك ، فأنا لم أوضحها له بعد .

ولكن (عصام) تحدث قائلا :

ـ الأمر ليس على هذا النحو ، ولكنى أعتقد أنكما تبالغان فى قدرتى على التأثير على هذه الفتاة ..

إن كل ما حدث بيننا كان مجرد حديث ودى عابر .

(نيازى) :

ـ على كل حال ، فقد سمعت أن لك تأثيرًا قويًا على الجنس الآخر ، فلا أعتقد أن هذه الفتاة الريفية ستسبب لك مشكلة .

(عصام) :

ـ ما سمعته أمراً مبالغ فيه ، وأعتقد أن تلك المقالة ، والشائعات التى حامت حول علاقتى بالفنانة (شاهيناز) ، هى التى أضفت علىَّ تلك الصفات التى لا أمتلكها ، فأنا لا أنكر أنه كانت لى بعض العلاقات ، ولكن مثلها مثل أى شاب آخر ، كما أن علاقتى بالممثلة (شاهيناز) لم يعد كونه مشروع خطبة فاشلة ، لاختلاف الطباع ، و .....

رد عليه (نيازى) بضيق ، قائلا :

ـ لست هنا لكى تدافع عن نفسك أمامى ، فلا شأن لى بعلاقاتك .. المهم هل ستوافق على تنفيذ المطلوب منك ، بشأن هذه الفتاة أم لا ؟

مرت فترة قصيرة من الصمت ، قال بعدها (عصام) :

ـ نعم .

(نيازى) :

ـ حسناً .. هل تستطيع أن تنهى ذلك الأمر ، وتأتى لنا بالفتاة لتوقيع عقد الفيلم ، خلال أسبوع واحد ؟

(عصام) :

ـ أعتقد ذلك .

ومرة أخرى تلفت (نيازى) حوله فى ضيق ، ثم قال له :

ـ لا تقل لى أعتقد .. أريد الاجابة أيضاً بنعم أو لا .

سادت فترة صمت أخرى بين الطرفين ، كان (عصام) خلالها يعمل تفكيره ، الذى تضارب ما بين شعوره بأن موافقته تعنى إقدامه على عمل وضيع ، الهدف منه استغلال عواطف فتاة بريئة ، وخداعها باسم الحب ، وبين التزاماته المادية المرهقة ، وتلك الديون التى تثقل كاهله ، وتدخل (يسرى) مرة أخرى ، ليقطع هذا الصمت قائلا :

ـ هيا يا (عصام) . لا تدع الفرصة تفلت منك .. لقد قلت لك ان (نيازى) بك سيكون كريماً معك للغاية .

أومأ (عصام) برأسه ، قائلا :

ـ نعم .

قال (نيازى) وقد بدا عليه بعض الارتياح :

ـ حسناً .. سأدفع لك ثلاثة آلاف جنيه ، مقابل إحضار الفتاة لتوقيع العقد ، عدا مصاريفك الشخصية خلال هذا الأسبوع .

وفتح درج مكتبه ، ليتناول منه رزمة من الأوراق النقدية ، قدمها له قائلا :

ـ هذا جزء من الأتعاب .. ألف جنيه ، وبقية المبلغ ستقبضه بعد توقيع الفتاة على العقد .

تردد (عصام) قليلًا ، قبل أن يمدّ يده لتناول النقود ، قائلًا :

ـ ولكن ....

نظر إليه (نيازى) ، وقد عاد إليه تبرمّه ، قائلًا :

ـ ولكن ماذا ؟

ابتسم (يسرى) قائلًا :

ـ إنه يطمع فى أن يحصل على دور جيد فى أحد أفلامك القادمة ، فقد كبر على دور الكومبارس .

قال (نيازى) ، محاولًا إنهاء الأمر على أى نحو :

ـ سيكون لك دور رئيسى فى فيلمى القادم .

تناول (عصام) الألف جنيه ، ليضعها فى جيبه قائلًا :

ـ حسنًا .. سأذهب غدًا إلى المزرعة .

(نيازى) :

ـ لا تخبرنى عما ستفعله .. فالمهم لدى هو النتيجة .. اليوم هو الاثنين ، وأريد أن تحضر تلك الفتاة إلى هنا يوم الاثنين القادم على أقصى تقدير .

وانسحب (عصام) من الغرفة فى هدوء تام ، فى حين نظر (نيازى) إلى (يسرى) ، قائلًا :

ـ هل تعتقد أنه سينجح ؟

قال (يسرى) :

ـ إننى أراهن عليه .

(نيازى) :

ـ ليتك تربح هذا الرهان ، فقد ضقت ذرعًا بهذا الأمر ، وبعد أن أنتهى من هذا الفيلم سأبحث لى عن مجال آخر غير السينما ،

أستثمر فيه أموالى . فلن أضع نفسى مرة أخرى تحت رحمة مخرج مجنون ، مثل (عز الدين صبرى) .

ابتسم (يسرى) قائلًا

ـ ولكنك وعدت ذلك الشاب بدور رئيسى ، فى أحد أفلامك القادمة .

قال (نيازى) ، دون أن ينجح فى إزالة ملامح التهجم المرتسمة على وجهه :

ـ فليبحث لنفسه عن أحمق غيرى ، فبعد هذا الفيلم لن تكون لدى حتى الرغبة فى مشاهدة الأفلام السينمائية .. لن أقترب منها قط .

واتسعت ابتسامة (يسرى) ..

* * *



٥ ـ خفقات قلب ..

هتفت (نسمة) بدهشة ، بعد أن فتحت الباب لتراه أمامها قائلة :

ـ أستاذ (عصام) ؟

ابتسم لها تلك الابتسامة المعهودة ، التى تدل على الاعتداد بالنفس ، مع شيء من السخرية ، قائلًا :

ـ هل تعرفين أننى قد افتقدتك كثيرًا ؟

انتابتها حالة من الارتباك ، مماثلة لتلك التى شعرت بها عندما تحدث معها لأول مرة ، ولم تدر ماذا تقول ... ولكن شيئاً ما فى أعماقها كان يشعر بالسعادة ، لرؤيته مرة أخرى .. ولقد سألها قائلًا :

ـ هل سأبقى واقفاً أمام الباب هكذا ؟

ازداد ارتباكها ، وهى لا تدرى كيف تفسح له الطريق للدخول ، قائلة :

ـ تفضل .

صحبته إلى حجرة الضيوف ، وأشارت له بالجلوس ، مكررة :

ـ تفضّل .

ولكنه ظل واقفاً ، يحاصرها بنظراته قائلًا :

ـ لعلك تتساءلين عن سبب حضورى ؟

لم تقل شيئاً ، بل أطرقت برأسها ، وكأنها تتحاشى نظراته ، وهى تتساءل عن سر تلك الحالة التى تنتابها ، كلما ركّز عينيه على وجهها بهذه الكيفية .. ولماذا يخفق قلبها بهذه الشدة ؟

وأنقذها صوت عمتها الآتى من الخارج ، مما اعتراها من اضطراب ، حيث نادتها قائلة :

ـ هل لدينا ضيوف يا (نسمة) ؟

ردت عليها قائلة بنبرات صوتها الرقيقة :

ـ نعم يا عمتى .. إنه .. إنه الأستاذ (عصام) .

دخلت العمة إلى حجرة الضيوف ، لترمق ذلك الشاب الواقف فى منتصف الحجرة بنظرات متفحصة متسائلة ، واندفع (عصام) يصافحها قائلًا :

ـ يشرفنى مقابلتك يا (درية) هانم .

صافحته وما زالت على وجهها تلك النظرة الفاحصة ، قائلة :

ـ تشرفنا .. هل من خدمة يمكننى تقديمها ؟

قالت (نسمة) :

ـ إنه الأستاذ (عصام زهدى) ، أحد العاملين فى الفيلم ، الذى كانوا يصورونه فى مزرعتنا .

وعلى الفور انقلبت سحنة العمة ، وارتسم على وجهها الغضب الشديد ، وهى تقول محتدة :

ـ ألم ننته من هذا الأمر بعد ؟.. لقد كان السماح بتصوير هذا الفيلم فى مزرعتى أحد الأخطاء ، التى لن أغفرها لنفسى قط ، وقد قلت لمن سبقوك : إننى لا أريد أحداً يذكرنى بهذا الفيلم ، وبمن يعملون فيه ، كما كان كلامى واضحاً لا لبس فيه ، عندما أخبرتهم

أن ذلك الموضوع ، الذى أرسلوك بشأنه ، مرفوض تماماً ، ولم يعد محلاً للمناقشة .

أشفقت (نسمة) على (عصام) ، من ذلك الموقف المحرج ، الذى يتعرض له ، فقالت وفى صوتها نبرة توسل :

- عمتى ...

ولكنها قاطعتها بلهجة حاسمة ، قائلة :

- اصمتى .

ثم قالت لـ (عصام) وعينها تكاد تُطلق شرراً :

- تفضل يا أستاذ .. وقل لمن أرسلوك : إننى لا أريد أى مندوب آخر من طرفهم .

قال لها (عصام) ، دون أن يتخلى عن هدوئه :

- سيدتى .. إنى لا أفهم عن أى موضوع تتحدثين ، ومن هم هؤلاء الذين أرسلونى بشأنه ؟

أجابته دون أن تتخلى عن حدتها :

- إسمع يا أستاذ .. لا أحب اللف والدوران .. هناك شىء واحد يجب أن تعرفوه ، وهو أننى لن أسمح لابنة شقيقى بالعمل فى مهنة التمثيل ، ما دمت على قيد الحياة .

قال متصنعاً البشاشة :

- ومن قال أننى جئت لأناقشك فى أمر كهذا ؟!. إن أحداً لم يخبرنى أنهم يسعون وراء ابنة أخيك ، لتصبح ممثلة ، وتأكدى أننى لم أعرف بشىء كهذا مطلقاً .

قالت وما زالت نبرات الغضب متجلية فى صوتها :

- ألست تعمل معهم ؟

ابتسم تلك الابتسامة الساخرة ، قائلاً :

- نعم .. ولكننى مجرّد (كومبارس) صغير ، ولا يعنيهم فى شىء أن يشركونى فى موضوع كذلك الذى تتحدثين عنه ..

قالت وقد تبدّلت ملامحها ، من الغضب إلى الارتياب :

- إذن فما الذى جاء بك إلى هنا ؟

(عصام) :

- هل تسمحين لى بالجلوس أوّلاً ؟

اكتفت بأن تشير إليه ليجلس ، دون أن تبدى ترحاباً ، واختار لنفسه أحد المقاعد ، قائلاً :

- أشكرك .

جلست العمة بدورها ، فى حين التفت هو نحو (نسمة) ، التى كانت تتطلع إليه بفضول ، قائلاً :

- هل يمكننى أن أحصل على كوب من الشاى ؟ لقد كان المشوار مرهقاً ، وأشعر بصداع خفيف .

وعلى الرغم من فضولها الشديد لمعرفة الهدف من وراء زيارته ، إلا أنها قالت :

- سأعد لك الشاى حالاً .

ومنحها تلك الابتسامة المعهودة ، قائلاً :

- أشكرك .

ثم التفت إلى عمتها ، التى كاد صبرها ينفد قائلاً :

- السينما لم تكن مهنتى الحقيقية ، فقد كانت بالنسبة لى مجرّد هواية ، ثم تحوّلت إلى رغبة مجنونة فى الاحتراف ، وأنت بلا شك تعرفين بريق الأضواء ، وأحلام الشهرة التى تداعب الشباب ..

بدأت العمة فى تحريك قدميها بطريقة عصبية ، وقد بدأ صبرها ينفد بالفعل ، فلم يكن يعنيها فى شىء أن تستمع إلى أمانيه وأحلامه ، ولكنه استطرد قائلًا :

ـ أما مهنتى الحقيقية ، التى حصلت على الشهادة من أجلها ، فى الزراعة ، فأنا حاصل على بكالوريوس الزراعة من جامعة (القاهرة) بتقدير جيد جدًا ، فأبى كان فلاحاً ، وكان يرغب دائماً فى أن يرانى مهندساً زراعيًا ؛ لأتولى عنه عبء العناية بقطعة الأرض الصغيرة ، التى كنا نمتلكها فى قريتنا (إيتاى البارود) ، ولكن مع الأسف ، رحل عن هذه الدنيا دون أن أحقق له أمنيته ، إذ على الرغم من تفوقى فى الدراسة ، فإن حلم العمل فى السينما لم يبرح خيالى .

حضرت (نسمة) فى هذه اللحظة ، لتقدم له الشاى ، فرمقها بنظرة سريعة ، ثم تابع حديثه قائلًا :

ـ واستغل أحد أصدقاء السوء تعلقى بالعمل فى السينما ، ورغبتى فى أن أكون ممثلًا فى ابتزاز نصيبى من المال ، الذى حصلت عليه بعد بيع قطعة الأرض الصغيرة ، إثر وفاة أبى ، إذ كان يعمل (ريجسيرا) ، وصوّر لى أنه يستطيع أن يدفع بى إلى أدوار البطولة ، فى مقابل بعض المصاريف والنفقات ، التى يتعين علىّ دفعها .. المهم ـ لكيلا أطيل عليك .. انتهى بى الأمر إلى الإفلاس التام ، وإلى أن أصبح مجرد (كومبارس) ، يسعى وراء بعض الأدوار التافهة .

قالت العمة بشىء من التعالى ، وهى تضع ساقاً فوق أخرى :

ـ حسناً .. وما شأننا نحن بهذه القصة ؟

تناول (عصام) رشفة من الشاى ، ثم قال :

ـ هذا هو لب الموضوع ... لقد سئمت العمل فى السينما ، فضلًا عن أن العمل نفسه لم يعد متوافراً الآن ، على النحو الذى يُغطى أعباء معيشتى ؛ لذا قررت أن أبحث لنفسى عن عمل جاد ، يضمن لى دخلًا شهريًا مناسباً ، وقد فكرت أن أستفيد من (البكالوريوس) الذى حصلت عليه ، وما دفعنى إلى التفكير فى هذا هو رؤيتى للحالة السيئة ، التى بدا عليها محصول البرقوق فى تلك المزرعة ، فمن واقع دراستى فى الكلية ، خاصة وقد كنت متخصصا فى الثمار والفواكه ، وبعض الخبرة البسيطة التى حصلت عليها إثر التخرج ، أستطيع أن أقول إننى شعرت بالحزن ، للحالة التى كانت عليها الثمار ، والتى يبدو أن أحداً لم يكن يوليها عنايته مطلقاً ، وأثار فىّ هذا الشعور نوعاً من التحدى ، كما فتح شهيتى للعودة إلى المجال الزراعى مرة أخرى ، وقد قررت أن أبدأ بالعمل فى هذه المزرعة .

قالت العمة بفتور :

ـ ومن قال : إننى سأوافق على أن تعمل بمزرعتى ؟

(عصام) :

ـ لأننى سأجعلك تحصلين على أفضل محصول للبرقوق هذا العام .

ونظرت إليه باستخفاف ، قائلة :

ـ أنت ؟!. لقد حصلت على شهادتك منذ عدة سنوات ، ولا تملك أية خبرة على الإطلاق ، فكل ما لديك من خبرة هو أن تظهر فى بعض المشاهد السينمائية المتفرقة .

تغلب (عصام) على كبريائه ، قائلا :

- لا تنسى أننى كنت متفوقًا فى دراستى ، كما أننى أقدم لك أفضل عرض يمكن أن تحصلى عليه ، إذ من الواضح أن الإمكانيات المادية هنا لا تسمح بإحضار ذوى الخبرة ، فضلًا عن الأيدى العاملة ..

ولكنى سأوافق على العمل فى مزرعتك مهندساً زراعيًا ، وعاملًا زراعيا . أيضاً ، مقابل مائة جنيه شهريًا ، بالإضافة إلى المسكن ، وثلاث وجبات يومية .. أعتقد أنك لن تحصلى على عرض أفضل .

(العمة) :

- إنك تبدو واثقاً من نفسك .

(عصام) :

- إننى مستعد أن أجمد راتبى لديك ، حتى ترين النتيجة النهائية وتأكدى أننى لن أطالبك به ، إذا ما ثبت فشلى .

تدخلت (نسمة) ، قائلة :

- إننا بحاجة إلى شخص مثله بالفعل فى المزرعة ياعمتى .

احتدت عليها ، قائلة

- لا تتدخلى .

ولكنها عادت تفكر فى الأمر ، قائلة ، وقد بدا عليها بعض الاقتناع :

- ولكنه يريد أن يقيم هنا .. فمن أين نجد له مسكنًا .

وعادت (نسمة) تتدخل ، قائلة :

- لدينا تلك الحجرة الصغيرة إلى جوار أشجار الفاكهة .

وقالت عمتها مستنكرة :

- ولكنها حجرة (رزق) .

(نسمة) :

- عم (رزق) لديه حجرته عند البوابة ، تلك الحجرة لم يكن يستخدمها إلا فى تلك الأيام التى كنا نحضر فيها بعض الفلاحين لجمع المحصول .

قالت العمة ، وما زال وجهها يحمل بعض ملامح الرفض :

- وهل سنترك رجلًا غريباً يقيم معنا هنا ؟

رد عليها (عصام) قائلًا :

- سيدتى .. إننى سأقيم إلى جوار أشجار الفاكهة ، ويمكنك أن تعتبرينى مثل عم (رزق) .

(العمة) :

- وما الذى يثبت لى أنك مهندس زراعى كما قلت ؟

أخرج لها بعض الأوراق من جيبه ، ليقدمها لها قائلًا :

- ها هى ذى شهاداتى ، تؤكد ذلك .

اطلعت العمة على الشهادات ، ثم عادت تنظر إليه ، وقد شعرت أنه لم يعد هناك مجال للرفض ، فقد كانت بحاجة فعلية وماسة لشخص مثله ؛ لإنقاذ محصول البرقوق ، خاصة وقد قدم لها عرضاً مغرياً للغاية ، لا يمكن أن تحصل على مثله ، ونظرت إلى ابنة شقيقها ، قائلة :

- حسنًا .. قولى لـ (رزق) أن يعد له الحجرة .

شعر (عصام) بارتياح ، بعد أن اجتاز الخطوة الأولى ، وشكر الظروف التى هيأت له أن يستمع بطريق المصادفة لبعض

ذلك الحوار ـ الذى دار بين تلك السيدة وعم (رزق) ، أثناء تصوير عدد من مشاهد الفيلم فى المزرعة ، فقد هيأ له ذلك أن يعرف مدى احتياجها لشخص مثله ، للعناية بفاكهتها ..

إنه لم يكذب فيما رواه عن حياته ، وعن التحاقه بالعمل فى السينما ، كما أنه لن يتقاعس فى أداء عمله ، بالنسبة لمحصول الفاكهة ، فهو يعرف أنه يستطيع معالجة الأمر على نحو جيد ، وإن كان ذلك الأمر لا يحتاج لعدة أشهر كما حاول أن يصور لها وإنما باستخدام بعض الأسمدة واللقاحات والمعالجة الكيميائية للتربة ، سيستغرق الأمر بضعة أيام فقط ، ليعطى فى نهاية العام محصولاً جيّداً ، وكان فى إحساسه بأنه سيقوم بهذا العمل ، على النحو الواجب ، ما يخفّف بعض الشىء مما يثقل على ضميره ، إزاء المهمة الحقيقية التى جاء من أجلها ..

أما (نسمة) فقد اندفعت إلى الخارج لتشارك عم (رزق) فى إعداد الحجرة ، التى تقرر تخصيصها له ، وهى تشعر بسعادة خفية لا تدرى حقيقة كنهها ..

سعادة حب يولد ..

* * *

٦ ـ دور بغيض ..

كان (عصام) منهمكاً فى فحص الثمار ، عندما لمحها قادمة نحوه ، قائلة فى استحياء :

ـ عمتى تسألك .. هل تحب أن نحضر لك طعام الغداء هنا ، أم تأتى لتتناوله معنا ؟

ابتسم وهو يلقى عليها نظرة عابرة ، عاد بعدها لاستئناف عمله ، وهو يقول :

ـ أعتقد أنه من الأفضل أن أتناوله هنا .

قالت له ، وهى تتأمل مداعبة أنامله للثمار :

ـ كما تحب .. إذا كان يضايقك أن تتناوله معنا .

حوّل بصره إليها ، قائلاً :

ـ على العكس .. أنا الذى أخشى أن يكون وجودى بينكما على المائدة مصدر إزعاج .

قالت له سريعاً ، وكأنها تنفى عن نفسها اتهامًا :

ـ مطلقًا .. كيف تقول ذلك ؟

(عصام) :

ـ إننى لا أتحدث عنك ، ولكنى أعتقد أن عمتك لا تستريح لوجودى .

(نسمة) :

ـ إنك لا تعرف عمتى جيدًا .. إنها تبدو ذات طباع خشنة من الظاهر فقط ، ولكنها إنسانة طيبة للغاية .

نفض (عصام) يده ، مما علق بها من أوراق قائلًا دون أن يرفع عينيه عن وجهها :

ـ حسنًا سأتناول الغداء معكما .. فأنا بحاجة إلى وجه جميل كهذا ؛ لكى يفتح شهيتى .

وخفضت بصرها إلى الأرض ، وعادت إلى وجنتيها تلك الحمرة المحبّبة ، التى تضفى عليها مزيداً من الجمال ، ونظر إليها (عصام) بإعجاب حقيقى ، فقد كان يرى فيها جمالًا لم يعهده فى أية فتاة أو امرأة عرفها من قبل ، وجعله ذلك الاحمرار الناجم عن الخجل ، والذى انعكس على وجنتيها ، ذات البياض الناصع ، يشعر بأنها لا تنتمى إلى ذلك العصر ... عصر الواقعية المادية والجرأة والاستهتار .. العصر الذى لا يعرف الخجل .. وأحس أنها تنتمى إلى عصر الرومانسية الحالمة .. عصر الطهر والبراءة ..

وقالت له وهى تهم بالانصراف :

ـ سأذهب لأخبر عمتى أنك ستتناول الغداء معنا .

ولكنه استوقفها قائلًا بصوت هامس :

ـ ألا تبقين معى قليلًا ؟

أحست أنه لا شىء أحب إليها ، فى هذه اللحظة ، من أن تبقى معه ، ولكنها قالت :

ـ أخشى أن أتأخر على عمتى .

(عصام) :

ـ بضع دقائق فقط .

ثم أردف قائلًا :

ـ لو سمحت .

قالت فى استسلام :

ـ حسنًا .. مادمت تريد ذلك .

تأملها بعينين ملؤها الإعجاب ، فى حين شعرت هى بالحيرة والاضطراب ، إزاء هذه النظرات ، التى تحول بينه وبين النظر إليه ، وتجبرها على خفض عينيها مع حصار عينيه لها ، ولكنها قرّرت التغلب على خجلها ، قائلة له ، وهى تحاول مواجهة نظراته :

ـ لماذا أردت منى أن أبقى ؟

(عصام) :

ـ لأننى أشعر براحة حقيقية فى وجودك إلى جوارى .. حقيقة لا أدرى السر فى ذلك ، ولكنه إحساس تملكنى منذ أن رأيتك أوّل مرة ، وأنت تشاهدين التصوير .

وللحظة ظلت صامتة ، لا تدرى ماذا تقول له ، وهى تحملق فيه ، ثم سرعان ما أولته ظهرها ، وهى تبتعد عنه بضع خطوات ، حيث أسندت مرفقيها إلى جذع شجرة ضخمة ، اتكأت عليه .. ربما لتخفى اضطرابها ، وتقدّم هو نحوها ، ليقترب منها قائلًا :

ـ هل تعرفين ما هو السبب الحقيقى ، فى عودتى إلى هنا ؟

قالت دون أن تنظر إليه :

ـ لقد أوضحت ذلك فى حديثك مع عمتى .. لأنك تريد العمل فى المزرعة .

(عصام) :

ـ السبب الحقيقى هو أننى لم أستطع أن أمنع نفسى من التفكير فيك ، منذ رأيتك ..

لم تعد كل تلك الأشياء التى اعتدتها فى حياتى كما كانت ، بعد ذلك اللقاء الذى جمع بيننا ..

(الاستوديو) .. السهرات الليلية .. المنزل الذى أعيش فيه بمفردى .. حفلات الفنانين المملة .. كل ذلك أصبح كريهاً فى نظرى على الرغم من أننى اعتدته وتأقلمت عليه ؛ فذلك الوجه الجميل أصبح يطاردنى فى كل مكان أذهب إليه ، ويدفعنى إلى الشعور بالملل والنفور ، من كل تلك الأماكن ؛ لأنها تبعدنى عنك ، وعندما وجدت أننى غير قادر على مقاومة ذلك الشعور ، بنفس القدر الذى لم أستطع معه مقاومة حنينى لرؤية ذلك الوجه الجميل ، رأيت نفسى مدفوعاً للحضور إلى هنا ..

ـ ظلّت لائذة بالصمت ، وقد تغلب عليها خجلها ، وأحسّت بازدياد خفقات قلبها ..

أحسّت بعوامل شتى تتنازعها ، وهى تستمع لكلماته ، التى لم تسمع مثلها من قبل ، وتملكها اضطراب لم تصادف مثله طوال حياتها ، وإن كان من الغريب أنه كان ممتزجاً فى داخلها بنوع من السعادة ، طربت له نفسها ..

واقترب منها (عصام) أكثر من ذى قبل ، حتى لامست شفتاه شعرها المنسول فوق كتفيها ، وهو يهمس قائلاً :

ـ (نسمة) .. لماذا لم تقولى شيئاً ؟

قالت متلعثمة :

ـ أستا .. أستاذ .. (عصام) ..

(عصام) :

ـ ألا يمكنك أن تنادينى باسمى مجرداً . (عصام) فقط . إننى أعرف أن الأمر يبدو بالنسبة لك غريباً ، فهو أشبه بتلك الروايات التى نصوّرها فى أفلامنا ، وأنا نفسى أشعر بالتعجب إزاء إحساسى هذا ، فلم أكن أصدق أننى سأتعرض يوماً لمثل هذه الأحاسيس المندفعة ، التى تجعل المرء عاجزاً عن تفسيرها . أو مقاومتها .

وهزّ كتفيه لأعلى ، وهو يتقدمها بخطوتين ، مردفاً وقد أولاها ظهره :

ـ ولكن هذا هو ما حدث لى ... من بين كل الفتيات اللاتى عرفتهن أشعر بالانجذاب الشديد نحوك ، وعلى نحو غير عادى أو منطقى ، وهذا هو الذى دفعنى للحضور إلى هنا ، فلم تعد لدى القدرة على مقاومة هذا الإحساس الجارف .

ثم التفت إليها ليواجهها قائلاً :

ـ قطعاً ليس من المفروض أن أجد لديك ما يتشابه مع إحساسى هذا ، كما أننى لا أطالبك بمثله ، فهذا شىء خاص بى وحدى ، ولكن كل ما أردته هو أن أطلعك على إحساسى هذا ، وعلى الدافع الحقيقى لحضورى إلى هذا المكان .

تطلعت إليه ، قائلة بصوت واضح النبرات للمرة الأولى :

ـ هل يعنى هذا أن ما قلته ، بشأن ابتعادك عن السينما ، لم يكن حقيقيًا ؟

(عصام) :

ـ لا أعرف .. كل ما أعرفه هو أننى فى الوقت الحاضر أصبحت أكره أى شىء ، يمكن أن يبعدنى عنك .

وفى تلك اللحظة حضر (رزق) إلى المكان ، حاملًا بندقيته العتيقة فوق كتفه ، وللوهلة الأولى بدت فى عينيه تلك النظرة العدائية تجاه (عصام) ، وقال بصوت خشن ، ينمّ عن غضبه وريبته ، لرؤيته يتحدث إلى (نسمة) :

ـ الهانم طلبت منى أن أتبين سبب تأخرك فى العودة إلى المنزل يا آنسة (نسمة) .

قال لها هذا دون أن يرفع عينيه ، المحملة بتلك النظرة العدائية المستريبة ، عن (عصام) ، وقالت له ، وما زال فى صوتها أثرًا من ذلك الاضطراب ، الذى تملكها منذ قليل :

ـ قل لها : إننى قادمة يا عم (رزق) .

ظل واقفاً عدة لحظات ، دون أن يتحرك ، وهو مستمر فى النظر إلى (عصام) ، ثم قال وقد تحرك أخيراً قليلًا :

ـ حسناً .. أرجو ألا تتأخرى ؛ فهى قلقة عليك .

وانصرف من المكان بخطوات متثاقلة ، وأحس (عصام) بشيء من الارتياح لابتعاده ، إذ أضفى حضوره على المكان جوًا ثقيلًا ، بتلك الروح العدائية ، التى بدت واضحة فى عينيه ، ونظرت إليه (نسمة) طويلًا ، دون أن تسأل نفسها كيف تمكّنت هذه المرة من أن تحدق فيه على هذا النحو ، دون أن تضطر لخفض بصرها ، ودون أن يعتريها ذلك الشعور بالارتباك والخجل ، كلما التقت عيناها بعينيه ، ولكن من المؤكد أن الشيء الذى لم تدر كنهه ، فى هذه اللحظة ، هو أنها أصبحت تشعر بأنها ازدادت قرباً منه ، وأن هناك شيئاً خفيًا جعل مشاعرها تهفو إليه ، وربما كان هذا الإحساس كامناً فيها منذ البداية ، ومنذ

اللقاء الأوّل ، ولكنه يعلن عن نفسه بوضوح الآن ، وعلى نحو تعجز عن تفسيره ..

وأخيراً وجدت نفسها مضطرة لمقاومة هذا الإحساس ، فقالت له ، وكأنها تدفع الكلمات إلى شفتيها دفعا :

ـ سأنصرف الآن .

ابتعدت بخطوات متثاقلة ، ثم توقفت تسأله :

ـ سننتظر حضورك لتناول الغداء معنا .

ابتسم قائلًا :

ـ سألحق بك بعد ساعة .

واندفعت تركض بعيداً عن المكان ، وكأنها تخشى لو انتظرت قليلًا ، ألا تقوى على مغادرته ؛ وتابعها هو بنظراته ، قائلًا لنفسه :

ـ تُرى .. هل استطاع أن يؤدى دوره كما يجب ؟

الطريقة التى روى لها بها السبب المزيف لحضوره إلى هنا ، تدل على أنه يمتلك مواهب تمثيلية حقيقية ..

وانتابه شعور بعدم الاحترام تجاه نفسه ، فقد يكون بارعاً فى أداء دوره ، ولكنه لا يمنك إلا الإحساس بأنه دور بغيض للغاية ، فتلك الفتاة تبدو مختلفة عن سواها من الفتيات ..

إن بها شيئاً بريئاً جداً ، وعواطفها لم تتفتّح للحياة بعد ، وليس من العدل فى شيء أن تخدع مثل هذه العواطف البريئة ..

جلس على الأرض مستنداً بظهره إلى جذع الشجرة ، وهو يقول لنفسه :

ـ ولكن هل كل ما قلته كان تمثيلًا فقط ، أم أن به جزءًا من

الحقيقة ؟ إننى بالفعل أشعر براحة حقيقية لوجودها بالقرب منى ، كما أحسَ بشىء من الانجذاب نحوها ..

حقيقة أن الأمر لا يبدو على النحو الذى بالغ معه فى تصوير مشاعره ، لكن هناك شيئاً محبباً ورقيقاً كاسمها ، يجذبه إليها ، فهى أشبه بنسمة رقيقة فى حر قائظ ..

أخذ يحاور ضميره ، وكأنه يسعى لإقناعه بسلامة الدور الذى ينفذه ، قائلًا لنفسه :

ـ ثم ما الذى سيعود على الفتاة من ضرر ، لو نجحت فى أداء دورى معها حتى النهاية ؟.. على العكس .. إنها ستنال فرصة عمرها ، لكى تصبح نجمة شهيرة ، يشار إليها بالبنان ، وهذه الفرصة من النادر أن تتاح لسواها ... أن تمثل فى فيلم كبير ، يخرجه مخرج بارع ، مثل (عز الدين صبرى) ، خاصة وأنه هو نفسه الذى اقتنع بها ، ورشحها للدور ، وأن يكون أوّل أدوارها فى السينما هو دور البطولة .. إنها ستنال الشهرة والمال ، والحياة التى تحلم بها كل فتاة ، بدلًا من الحياة فى هذا المكان الكئيب ، وبعيداً عن تلك العمة المتسلّطة ، التى تسيطر سيطرة تامة عليها ، وترسم لها خطواتها ، وتفرض عليها إرادتها .

عاد يردد لنفسه ، قائلًا :

ـ إننى أعتقد أن ذلك يستحق التقدير لا اللوم ، حتى لو لجأت من أجله لشىء من الخداع ؛ فالغاية هنا تبرِّر الوسيلة .

ولكن شيئاً فى أعماقه أبى أن يستسلم إلى هذه النتيجة المرضية ، التى حاول أن ينتهى إليها ، وظل يعلن عن عدم رضائه ، مستمراً فى محاسبته ، فذلك التعبير الذى استخدمه ،

ليصوِّر به دفع هذه الفتاة إلى طريق النجومية والشهرة ، وهو « شىء من الخداع » يعد بسيطاً للغاية إزاء الجرم الذى يقوم بتنفيذه ، وهو استغلال مشاعر وعواطف فتاة بريئة ، وأيا كانت الغايات التى يهدف إليها ، فإنها لا يمكن أن تبرر باستخدام وسيلة كهذه ..

ثم من قال : إنه جاء إلى هذا المكان ، وهو يهدف أساساً مساعدة الفتاة ، ودفعها إلىّ طريق الشهرة والنجومية .. لقد جاء من أجل تحقيق مصلحته الذاتية .. جاء بعد أن عقد اتفاقاً ماديًا ، مع رجل الأعمال والمنتج الشهير (نيازى صادق) ، وهو لهذا هنا ، فلماذا يخدع نفسه بالتحدث عن مصالح الآخرين ؟.. أم أن اندماجه فى أداء دوره سيجعله يغفل حقيقته ، ويستمرئ حتى خداع نفسه .

وقبض على حفنة من التراب بيده فى عصبية ، وقد تملكه إحساس ثقيل بعدم الرضا عن النفس ، ثم نهض قائلًا لنفسه ، وهو ينفض عن يده التراب ، كأنما أراد أن يحسم الموقف :

ـ أيا كان الأمر فلم يعد هناك مجال للتراجع .. لم يعد هناك مجال قط .

واتجه نحو المنزل .

* * *

٧ ـ شىء فى قلبى ..

مرّت ثلاثة أيام ، منذ حضور (عصام) إلى المزرعة ، وكان بالفعل قد بذل جهداً غير عادى ، فى أدائه لعمله ، ومعالجة ثمار البرقوق ، بكل تفانٍ وإخلاص ، وكأنه جاء خصيصاً لأداء ذلك العمل ، وعلى الرغم من المرات القليلة ، التى حضرت فيها صاحبة المزرعة ، وهو يؤدى عمله ، كانت ترمقه بعينين باردتين لا تدلان على تقدير حقيقى لما يقوم به من جهد ، إلا أنه كان يوقن من تقديرها لعمله ، وصحيح أنه لم يسع لمغازلة الفتاة على نحو مكشوف ، كما لم يحاول أن يفرض تقربه عليها ، خاصة وأن المرات التى كانت تتاح له خلالها رؤيتها ، كانت تعد قليلة نسبياً ، فهى لا تتجاوز تلك اللقاءات ، التى كانت تتم بينهما على مائدة الغداء ، وبضع مرات عابرة ، فى أثناء عمله فى المزرعة ، إلا أنه نشأ بينهما نوع من الألفة والتقارب النفسى ، على نحو اندهش له هو نفسه ، فقد بدا وكأنهما يعرفان بعضهما البعض منذ أمد بعيد .

ولم يكن هناك ما يضايقه سوى هاتين العينين الباردتين لعمة الفتاة التى كانت تراقبه بهما خلال جلوسه معهما حول مائدة الغداء ، وهى تنقل بصرها بينه وبين الفتاة ، وكأنه ذئب يتحين الفرصة لاقتناص حمل وديع ، وكان يشعر دائماً بعدم الراحة لنظراتها هذه ..

ومما لا شك فيه أن ذلك الرجل ، ذو الجثة الضخمة ، وقسمات الوجه الغليظة ، المدعو (رزق) ، كان له دور فى اضفاء ذلك الاحساس بالريبة ، الذى تكنه له تلك السيدة ، فكلما وقع نظره عليه ، أحس أن نظرته غير ودودة على الإطلاق ، وأنها تمتلئ كرها لسبب مجهول ، ولكنه لم يكن يعبأ بكل هذا ، قدر قلقه تجاه مشاعره ، إذ شعر أنه يكاد ينجرف فى عاطفة غير واضحة المعالم ، نحو (نسمة) ، وكان هذا هو الشىء الذى يخشاه بالفعل ، منذ أن بدأ يدرك ذلك التغيير ، الذى طرأ على مشاعره ، إذ لو انقلب التمثيل بالنسبة إليه إلى حقيقة ، فمعنى هذا أنه لن يستطيع الاستمرار فى مهمته حتى النهاية ، ولو نجح فإن قلبه أيضاً ، وليس قلبها فقط ، سيدفع جزءاً من الثمن .

ووقفت (نسمة) تراقبه وهو يقلّب التربة بجاروف صغير ، وقد اتسخت يداه ، وتساقطت حبات العرق على جبينه ، وهو جاثياً على ركبتيه ، وعندما تنبه إلى وجودها ابتسم قائلاً :

ـ منذ متى وأنتِ هنا ؟

ابتسمت بدورها ، قائلة :

ـ منذ دقيقتين فقط .

(عصام) :

ـ ولماذا لم تنبهينى إلى وجودك ؟

كانت نظرة الإعجاب فى عينيها معبّرة ، لا تحتاج إلى تعريف ، ولكنها لم تشأ أن تُفصح عنها بالطبع .. أرادت أن تمنح نفسها مهلة من الوقت ، لكى تراقبه يكافح الأرض على هذا النحو ، الذى أثار المزيد من إعجابها به وبدلاً من ذلك قالت :

- أردت ألا أشغلك عن عملك .

ومسح (عصام) حبات العرق عن جبينه بأكمام قميصه ، قائلًا :

- كنت أفضل أن تريني على نحو أكثر أناقة من ذلك .

أسرعت تقول له ، دون أن تنتبه لاندفاع الكلمات من بين شفتيها :

- على العكس .. إنك تبدو لى جذابًا للغاية ، وأنت على هذا النحو .

وتوقفت فجأة عن متابعة حديثها ، وقد أدركت أنها تجاوزت ما يتحتم عليها قوله ، وعاد الخجل يفسح له مكاناً على وجهها ، الذى تضرج بحمرة الخجل ، فى حين ابتسم لها (عصام) ، قائلًا :

- لماذا تخجلين من هذا القول ؟.. إننى مستعد أن أتصارع مع تراب هذه الأرض ، وبقية الأراضى المجاورة ، إذا كان هذا سيجعلنى إنساناً جذاباً فى نظرك .

ازداد توَرّد وجهها ، ولكنها سارعت بتغيير الحديث قائلة :

- هل تحب أن أساعدك ؟

(عصام) :

- نعم .. خذى هذه البخاخة ، ورشى منها فى الأماكن التى تم تقليبها من الأرض .

نفذت (نسمة) ما طلبه منها (عصام) ، الذى قال لها وهو مستمر فى تقليب التربة :

- هل أنت واثقة أن عمتك لن تغضب ، لو رأتك تساعديننى الآن ؟

قالت (نسمة) وقد داخلها شىء من السعادة ، لمشاركتها له عمله :

- ولماذا تغضب ؟. إنك بحاجة لكل مساعدة هنا ، فلا أعتقد أنك ستستطيع القيام بكل العبء وحدك ، ثم أن هذه أرضنا ، وعلينا أن نساهم جميعاً فى العمل بها .

قال وهو مستمر فى عمله ، وقد أولاها ظهره ، دون أن يحاول إبداء اهتمام حقيقى :

- بالمناسبة .. ما هى قصة اختيارك للعمل بالسينما هذه ، التى تحدثت عنها عمتك ؟

قالت (نسمة) أيضاً دون أن تبدى اهتماما واضحاً :

- لقد جاء بعضهم ، وتحدث مع عمتى ، بشأن عملى بالسينما ، وقالوا : إن الأستاذ (عز الدين) اختارنى ، للقيام بدور البطولة فى الفيلم ، الذى كانوا يصورون بعض مشاهده هنا ، ولكن عمتى رفضت .

التفت (عصام) إليها متصنعاً الدهشة :

- هل اختارك (عز الدين صبرى) لبطولة الفيلم ، بدلًا من (نادية فوزى) ؟

قالت بلا مبالاة :

- نعم .. لقد قالوا لى ذلك .

سألها قائلًا :

- وماذا كان موقفك من هذا العرض ؟

(نسمة) :

- لا أفكر إننى تحمست له فى البداية ، فقد بدا لى الأمر وكأنه

حلم حقيقى ، ولكن اعتراض عمتى جعلنى أحجم عن الاستمرار فى التفكير فيه .

واقترب منها ليقبض بيده على مرفقيها فى عنف وانفعال مصطنع ، قائلا :

ـ أأنت مجنونة ؟.. أترفضين عرضاً كهذا؟!. بطولة مطلقة .. وبدلا من (نادية فوزى) ؟ كيف تضحين بفرصة كهذه ؟

وتطلعت إليه بدهشة ، قائلة :

ـ إنك تؤلمنى .

أبعد يديه عنها قائلا :

ـ آسف .. ولكنى لم أتصور أن العرض الذى قدموه لك ، كان كبيراً على هذا النحو ، وأشعر بالأسف لأنك تفوتين على نفسك فرصة كهذه

قالت ، وهى تمرر يدها على مرفقيها ، من أثر أصابعه :

ـ أعتقد أنه كان لك رأى مخالف ، بالنسبة للعمل فى المجال السينمائى ، وكنت تحذرنى من الانبهار به .

(عصام) :

ـ نعم ، ولكنى أذكر أيضاً أننى أعطيتك بعض الأمثلة لفنانات كبيرات ، يحترمن عملهن ، ويحرصن على عدم الانزلاق فى هاوية ذلك المجتمع .

(نسمة) :

ـ لا أدرى .. لقد شعرت برهبة حقيقية ، تجاه هذا الأمر ، عندما فكرت فيه فيما بعد ، فلا أعتقد أننى سأستطيع مواجهة الكاميرات ، والقيام بعمل كهذا ، كما أننى لا أستطيع إغضاب

عمتى ، التى تولت تربيتى ورعايتى ، بعد وفاة والدى ، وكانت بمثابة الأب والأم بالنسبة لى .

(عصام) :

ـ مسألة الرهبة هذه لا تمثل مشكلة ، فقد تعرض لها الكثيرون قبلك فى بداية عملهم بالسينما ، ممن يعدون نجوماً الآن ، وهو أمر طبيعى للغاية ، بالنسبة لكل من يقف أمام الكاميرات لأول مرة ، كما أن تولى عمتك رعايتك وتربيتك لا يعنى أن تتحكم فى حياتك ومستقبلك ، وتحرمك فرصة كهذه .

(نسمة) :

ـ إنها ترى أن فى عملى بالسينما ما يتعارض مع مستقبلى .

(عصام) :

ـ هذا يعد خطأ .. خطأ كبيراً .

شعر أنه قد بالغ فى حماسه بعض الشئ ، على نحو قد يكشف حقيقة هدفه ، مما دفعه إلى التخفيف من اندفاعه ، قائلا بنبرة هادئة :

ـ على كل حال .. هذا الأمر يتعلق بك وحدك ، وإن كنت أرجو أن تعيدى التفكير فيه .

صمتت قليلا ، قبل أن تقول :

ـ أعتقد أنه يتعين على أن أعود الآن إلى المنزل ، قبل أن تشعر عمتى بالقلق لغيابى .

قال (عصام) بانزعاج حقيقى :

ـ بهذه السرعة ؟

ـ أحست أنها لا ترغب فى مبارحة المكان بالفعل ، فقالت :

- يمكننى أن أبقى قليلًا .

(عصام) :

- (نسمة) .. إنك لا تعرفين كم أسعد لوجودك إلى جوارى ، فلم أعد أقوى على الابتعاد عنك طويلًا .

أحست أن شيئاً بداخلها يود لو عبر عن نفسه ، قائلًا له : إنها تبادله نفس الشعور ، وأنها فى كل مرة تكون فيها قريبة منه ، فإنها تشعر بنوع من السعادة ، لم يسبق لها أن أحسته من قبل ، وبأنها تتمنى لو تمكنت من البقاء أطول وقت ممكن إلى جواره ، ولكن حياءها منعها من التفوه بذلك ، فلاذت بالصمت وهى توليه ظهرها ، وقد أسندت رأسها إلى جذع شجرة ، وكأنها تخشى أن يرى فى عينيها ما يحاول قلبها إخفاءه ..

واقترب هو منها قائلًا :

- (نسمة) .. إننى .. إننى ..

ثم صمت برهة ، قبل أن يقول :

- لا أدرى إذا كان يتعين على أن أقول لك ذلك أم لا ، ولكنى لا أقوى على إخفاء مشاعرى أكثر من هذا ..

فى البداية ظننت أن الأمر لا يعدو كونه إعجابا .. نوع من الانجذاب .. أو شىء من هذا القبيل ، ولكننى أدرك الآن أن هذا ليس هو التعبير الصحيح ، عن حقيقة شعورى نحوك ، وإنما الحقيقة ، التى لم أعد أستطيع إنكارها ، أو التحايل عليها .. هى أننى أحبك .

وسادتها حالة من الارتباك ، لم تعرف مثلها من قبل ، وأخذ قلبها يخفق بشدة ، كما لو كانت هذه الكلمة التى نطقها ، بمثابة

تيار كهربى ، مس جميع أوتار هذا القلب ، فأصابه بارتعاشة قوية ، ولكنها ارتعاشة كانت تحمل فى طياتها نوعا من السعادة الغامضة ، التى أخذت تسرى فى جميع أطرافها ، وأحست أن كافة أطرافها ترتعد ، حينما رفع وجهها إليه بأنامله ، وهو يسألها قائلًا :

- أريد أن تخبريني بمنتهى الصراحة : هل سأجد لشعورى هذا صدى فى قلبك ، أم أنه سيبقى شعورا خاصًا بى أنا وحدى ؟

أريد أن تخبرينى بالحقيقة دون مواربة ، وتأكدى أننى سأقبلها منك أيا كانت .

تطلعت إليه بنظرات مضطربة ، دون أن تقوى على قول شىء ، وتمنت فى هذه اللحظة لو كانت لديها الجرأة ، لكى تعلن له صراحة عما تستشعره فى قلبها ، وأن هذا الشعور الذى يتحدث عنه قد نفذ إلى أعماقها ، منذ اللحظة الأولى لمجيئه إلى هنا ، وعلى نحو عجزت معه عن مقاومته ، لكن صوت عمتها الآمر انتزعها من مشاعرها المتضاربة وهى تهتف قائلة :

(نسمة) .. تعالى هنا .

أسرعت (نسمة) إلى حيث كانت تقف عمتها ، بعد مترتين فقط منهما ، وقالت لها :

- ماذا تفعلين هنا ؟

أجابتها (نسمة) قائلة :

- كنت أساعد المهندس (عصام) .

حدجته بنظرة صارمة تعبر عن عدم ارتياحها له وهى تقول :

ـ أعتقد أن المهندس (عصام) ليس بحاجة إلى مساعدتك .. هيا إلى المنزل .

غادرت (نسمة) المكان ، فى حين تقدّم (عصام) نحو العمة ، قائلاً بثبات :

ـ بل أعتقد أننى سأكون بحاجة لكل مساعدة ممكنة هنا ، فنحن لا نملك عمالة زراعية ، للمعاونة فى العناية بالأرض ، كما أنك لا تمتلكين الإمكانات ، التى تسمح بتأجير بعض الفلاحين ؛ لذا فأنا بحاجة لمساعدة كل فرد فى هذه المزرعة .

ردّت عليه قائلة ، بنفس اللهجة الخشنة :

ـ لقد اتفقنا منذ البداية على أن تتولى أمر المزرعة بنفسك .

(عصام) :

ـ نعم .. إننى أقوم بدور المهندس الزراعى ، والعامل الزراعى ، ولكنى لن أستطيع أداء كل العمل بمفردى .

قالت له :

ـ ولكن عليك أن تسقط ابنة أخى من حسابك .

رد عليها (عصام) بنفس التصميم ، قائلاً :

ـ بل سأكون بحاجة إليها .. هى .. وعم (رزق) .. وأنت أيضاً ، لو استدعى الأمر ، فهذه المزرعة فى النهاية تهم كل الموجودين هنا ..

إن هذه الأرض مهملة منذ عدة سنوات ، وهى بحاجة إلى عناية حقيقية ؛ لذا علينا جميعًا أن نتعاون فى ذلك .

وأسقط فى يدها ، فلم تدر ماذا تقول ، سوى :

ـ حسناً .. سننظر فى هذا الأمر فيما بعد .

انصرفت لتلحق بـ (نسمة) ، وأحس (عصام) بشىء من السرور ، لانتصاره على هذه العجوز المتغطرسة ، ولكنه كان انتصاراً يفتقر إلى عامل شديد الأهمية .

عامل أخلاقى .

* * *



٨ـ لا تهجرنى ..

اشترك الجميع فى التقاط الثمار المعطبة من أشجار البرقوق ، (عصام) ، و (نسمة) ، و (رزق) . وحتى (درية) هانم ، فعلى الرغم من أنها لم تستطع إقناع نفسها بأن يكون بينها وبينه أية مودة على الإطلاق ، إلا أنها كانت مقتنعة بأهمية رأيه فى مشاركة الجميع العناية بالثمار ...

وكان (عصام) مستمراً فى جمع الثمار المعطبة ، فى السلة التى يحملها ، وهو يراقب من آن لآخر العمة والرجل ، وانتهز فرصة انشغالهما عنه بجمع الثمار ، ليقترب قليلاً من (نسمة) ، التى قاربت سلتها على الامتلاء ، قائلاً :

ـ إنك لم تجيبينى على سؤالى .

نظرت إليه بسرعة ، وصوتها ينم عن اضطرابها :

ـ لا أعرف بماذا أجيبك ؟

(عصام) :

ـ كان سؤالى واضحا ، والإجابة عليه لا تحتاج إلى مثل هذه الحيرة

وتهربت من الرد عليه ، وهى تنظر باتجاه عمتها ، قائلة :

ـ عمتى تنظر إلينا .

تطلع إلى المكان الذى تقف فيه عمتها ، ولمح نظراتها المرتابة تحاصره ، من آن لآخر ، فتظاهر بالانشغال بجمع الثمار ، وهو يهمس لها ، قائلاً :

ـ حسنا .. لقد تبين لى الأمر .

قالت وهى ترمقه بنظرة سريعة :

ـ ماذا تبين لك ؟

عصام :

ـ إنك لا تحبيننى .

همت أن تقول له شيئا ، يعبر عن حقيقة مشاعرها ، ولكنها أمسكت فى خجل ، وتوقف (عصام) عن الاستمرار فى جمع الثمار ، وقد ظل واقفا مكانه ، دون أن ينظر إليها منتظراً أن تقول له أى شىء ، يفسر حقيقة شعورها نحوه ، ولكنها لم تقل ، بل حملت السلة وأسرعت بمغادرة المكان ، والعودة إلى المنزل ، وعندما حان موعد تناوله للغداء معهما ، كان قد جلس أمام المائدة ، وأمارات الاكتئاب تلوح على وجهه ، ولاحظت (نسمة) أنه لم يتناول شيئاً من الطعام الموضوع أمامه ، فقالت وهى تشير إلى الوعاء :

ـ إنك لم تأكل شيئاً .

نظر إلى عينيها ، ثم قال باقتضاب ، وهو ينهض ملقيا منشفة المائدة إلى جوار الوعاء فى عنف :

ـ لا أشعر برغبة فى تناول الطعام .

ثم أشعل لنفسه سيجارة ، وأسرع بمغادرة المنزل ، دون أن ينطق بأية كلمة ..

واستمرت العمة فى تناول طعامها بهدوء ، دون أن تعلق بشىء ، فى حين شعرت (نسمة) بالأسى ، لتلك الحالة التى يبدو عليها ، وعلى الرغم من إحساسها بالذنب ؛ لتيقنها من أن لها

دخلا فيما طرأ عليه من تغيير ، إلا أنها شعرت بأنها لا تملك شيئا حيال ذلك ، وأخذت تردد لنفسها فى مرارة كلمات غاضبة محنقة ..

تبًا للخجل ، وذلك الخوف من المجهول ، الذى يهيمن على حياتها ومشاعره ..

لقد عاشت دائما منطوية على نفسها ، لا تعرف شيئا سوى هذا المنزل والمدرسة ، حتى أصبحت هذه المزرعة هى كل عالمها ، فهى لا تذكر أنها غادرتها ، إلا للذهاب إلى تلك المدرسة ، التى تقع فى أطراف البلدة ، والمرات القليلة التى غادرت فيها البلدة ، لم تتجاوز أربع أو خمس مرات .. مرتان زارت فيهما خالتها فى (القاهرة) ،حتى أنها لم تعد تعرف مكان منزلها الآن ، ودائما فى صحبة عمتها ..

حتى الجامعة أبت عليها عمتها أن تدخلها ، وأقنعتها بالاكتفاء بالمرحلة الثانوية ، والبقاء معها فى تلك المزرعة الكئيبة ..ودائما كانت ترضخ ، لأنها لا تستطيع أن تخالف إرادة عمتها ..

وعندما كان أحد أبناء البلدة يسمعها بعض كلمات الغزل ، فى أثناء ذهابها أو عودتها من المدرسة ، وتأتى لتخبر بها عمتها فى براءة ، كانت تعنفها بشدة ، دون ذنب ارتكبته ، وتصور لها أن هذا الأمر خطير جدا ، وينطوى على شرور الدنيا كلها ، ثم تأخذ فى تحذيرها من الحب ، ومن الاستماع لمثل هذه الكلمات .. ولا يقتصر الأمر على هذا ، بل تقيم الدنيا وتقعدها فوق رأس الشاب ، الذى تجرأ وحاول مغازلتها ..

حقًا إنها لم تكن منغلقة على نفسها تماما ، فقد كانت تشاهد الأفلام والتمثيليات التى يعرضها (التليفزيون) ، وكان من المتاح لها أن تقرأ روايات الحب ، لتدرك أنه ليس كل ما يتعلق بهذه الكلمة يحمل فى طياته ما حاولت عمتها أن توحى لها به ، من أخطار وشرور ، ولم يتحول الأمر بالنسبة لها إلى عقدة حقيقية ، بل إنها كثيرا ما راودتها تلك الأمانى ، بأن تعرف ذات يوم بعضا من هذه المشاعر الحلوة الرائعة ، التى طالما شاهدت بعضها على الشاشة ، او قرأت عنها فى الروايات ، أو استمعت لبعضها من زميلاتها ..

وكم من مرات عديدة أغلقت عينيها ، وحلمت بفارس الأحلام المجهول ، الذى يأتى من مكان ما ، ليحتويها بين ذراعيه ، ويبثها عواطفه ، وعلى الرغم من ذلك ، فإن انطواءها وعزلتها ، داخل هذه المزرعة الريفية فرضا عليها ذلك الخجل ، الذى يحول بينها وبين التعبير عن نفسها ، على نحو صريح وواضح ، كما أن محاذير ونواهى عمتها ، التى أحاطت بها منذ صباها ، ضد التجاوب مع أية عاطفة ، تجاه الجنس الآخر ، رسبت فى أعماقها الخوف من ذلك المجهول ، الذى طالما تمنته وخشيته فى آن واحد .. والذى لم تلتق به أبدا طوال حياتها .. وهو الحب ..

ولهذا فهى عاجزة ، وخائفة من أن تعبّر عن مشاعرها التعبير الصحيح ، للإنسان الوحيد الذى تفتّح له قلبها ..

أما (عصام) ، فقد غادر المزرعة ، وأخذ يتجول بين الحقول والمزارع القريبة ، محاولا التغلب على ذلك الإحساس البغيض ،

الذى سيطر عليه ، وجعله يغرق فى حالة من الضيق والكآبة ، لم يعرفها من قبل ..

لقد بدأ هذه المغامرة من أجل المال ، ومن أجل الحصول على فرصة للصعود إلى أعلى ، وكان واثقاً كل الثقة من نفسه .. لقد صور له غروره أن الأمر لن يستغرق أكثر من يومين فقط ، خاصة بالنسبة لفتاة ريفية كهذه ، وهو الذى خبر الحياة ، وخالط نوعيات مختلفة من الفتيات والفنانات ، ولكن هذه الفتاة تبدو مختلفة تماماً ..

مختلفة فى كل شىء .. حتى فى بشرتها وابتسامتها ، وجمال وجهها الطبيعى ..

إن جمالها جزء من جمال الطبيعة هنا .. جمال لم تشوهه تلك الأصباغ ، التى تستخدمها الأخريات ، ولم يخالطه زيف المدنية بعد ، كما أنها نجحت أيضاً فى هز الثقة ، التى جاء بها إلى هنا ، معتقدا أن الطريق سيكون مفتوحاً أمامه لغزو قلبها ، ولكن من الواضح أن قلبها موصد دونه ، وأن قلبه هو الذى وقع فى شرك حبها ..

لقد انقلبت الأمور على نحو هائل ، فى خلال أربعة أيام فقط .. فى بداية الأمر حاول أن يصوّر لنفسه أنه يبقى فى هذا المكان ، مدفوعا برغبته فى الحصول على المال ، وتلك الفرصة التى وعده بها المنتج ، أما الآن فإنه عرف أنه كان باقياً من أجلها هى ، فمن المؤكد أنه اذا عاد إلى (القاهرة) ، فإن حياته لن تعود إلى سابق عهدها ، وأنه سيظل يفكر فى (نسمة) طوال الوقت ، ويشعر بالاشتياق والحنين الجارف إليها ، ومع ذلك فهو لن

يستطيع أن يبقى أكثر من ذلك ، فالحنين والاشتياق أهون بكثير من توريط قلبه فى عاطفة مفروضة على هذا النحو .. لن يستطيع ابدا .

* * *

كان مستغرقا فى عمله ، عندما حضرت إليه ، قائلة :

ـ لماذا لم تحضر لتناول الغداء معنا ؟

أجابها قائلا ، وهو مستغرق فى عمله ، دون أن ينظر إليها :

ـ لا أشعر بجوع .

(نسمة) :

ـ ولكنك لم تتناول شيئا منذ الصباح ، كما أنك لم تأكل جيدا فى الغداء أمس .

(عصام) :

ـ قلت لك لا أشعر بالجوع .

وقدمت له سلة ، أحضرت بها بعض الطعام ، قائلة :

ـ لقد أحضرت لك بعض الطعام لتتناوله .

التفت إليها وعلى وجهه ملامح الغضب ، قائلا بانفعال :

ـ إننى لا أريد أى طعام .. لماذا لا تتركيننى وحدى ؟

نظرت إليه بعينين حزينتين ، ثم تركت السلة واستدارت عائدة من حيث أتت ، ولكنه ترك ما بيده ، واندفع خلفها ، قائلا بصوت منخفض :

ـ (نسمة) .. أنا .. أنا آسف .. لم أكن أحب أن أحتد عليك بهذه الصورة .

قالت له وهى تخفض وجهها إلى الأرض :

- أنا التى يجب أن تقدم إليك الأسف ، فأنا أعرف أن لى دخلا فى تلك الحالة ، التى تبدو عليها منذ أمس .

عصام :

- ليس هناك ما يستحق أن تلومى عليه نفسك ، فمشاعر المرء منا هى الشىء الوحيد ، الذى لا سلطان عليها .

قالت محاولة التغلّب على تردّدها :

- (عصام) .. إنك لا تدرك الأمر على نحو صحيح .. إننى .. إننى .. وانتظر منها أن تقول شيئاً ، ولكنها عادت تركن إلى الصمت ، فتحدّث هو قائلا :

- (نسمة) .. إننى سأغادر تلك المزرعة غدا .

نظرت إليه فى انزعاج ، قائلة :

- لا .. لا تفعل ذلك يا (عصام) .. فأنت تعرف أننا بحاجة إليك هنا .. يمكنك أن تلجأ لوسيلة أخرى للعقاب لو أردت .

قال لها فى صوت هادئ النبرات :

- لا تفكرى على هذا النحو ، فأنا لا أحاول عقاب أحد ، ولايمكن أن يخطر فى بالى أن أتسبب لك فى أى عقاب ..

- إنكم لم تعودوا بحاجة إلىّ هنا ..

أخذت تهز رأسها ، وقد تملكتها حالة من الحزن :

- كيف تقول هذا ؟.. إنك لم تقض هنا سوى خمسة أيام فقط ، وتلك الثمار ..

ولكنه قاطعها ، قائلا :

- أنصتى إلىّ جيدًا .. إننى لا أقول لك سوى الحقيقة .. هذه الثمار لم تكن تحتاج منى لأكثر من هذه الأيام الخمسة فقط ، ولن

يكون لى أى عمل هنا بعد الآن ؛ فكل ما تحتاجونه هو رى الأرض بالماء يومًا بعد آخر ، والمشكلة الحقيقية التى ستواجهونها ، هى إحضار بعض الأفراد ، لجمع ثمار البرقوق بعد نضجها ، وأعتقد أن عمتك تستطيع أن تدبر ذلك .

وقالت (نسمة) بتوسّل :

- ألا تنتظر شهرًا واحدًا على الأقل .

(عصام) :

- سيكون هذا استغلالًا لا مبرّر له ، فلا معنى لبقائى شهرًا هنا ، دون عمل حقيقى .

قالت وقد تملكتها حالة من الحزن :

- إذن فقد قررْت الابتعاد عنا .

أحس لحظة أن صوتها يحمل إليه شيئًا من العاطفة ، فازداد قرباً منها ، وهو يهم بالإمساك بمرفقيها ، محاولًا قول شىء ما ، ولكنه سُرعان ما تراجع عن المحاولة ، وقد قرر عدم الاستسلام لأحاسيسه ، قائلًا وهو يعود لمزاولة عمله :

- تأكدى أننى لن أنسى الأيام التى قضيتها هنا .

وعندما عاد ينظر إليها ، كانت قد ابتعدت وهى تعدو ، والدموع تتساقط من عينيها ..

لقد أصبح من الصعب عليها أن تحتمل فكرة ابتعاده عنها ، وأنه من الممكن ألّا تراه بعد الآن ..

من الصعب جدًا .

* * *

٩ ـ تحدّى الحب ..

كانت الشمس تستعد للمغيب ، عندما أخذ (عصام) يحزم حقيبته ، استعدادًا للرحيل ..

لم يكن قد أخبر صاحبة المزرعة بعد بقراره ، ولكنه أراد بحزم حقيبته أن يقطع على نفسه أى مجال للتراجع ، إذ خشى أن تغلبه عواطفه ويضعف ، فأراد أن يغادر المزرعة فورًا ، بمجرد إعلان قراره للعمة .. وانتابه إحساس عميق بالوحدة والوحشة ، لمجرد تفكيره فى أنه لن يراها بعد الآن ، وحوّل إحساسه الموحش هذا إلى ابتسامة ساخرة ، ابتسمها لنفسه ، وهو ينظر فى المرآة ، قائلًا :

ـ من كان يصدق أن الفتاة الريفية البسيطة ، التى جاء ليخدع عواطفها البريئة ، هى نفسها التى حرّكت فى نفسه كل هذه المشاعر ، وهى التى أسلمته لكل تلك الأحاسيس المؤلمة ، التى يمر بها الآن ..

وتمنّى لو أنه لم يكن قد عقد هذا الاتفاق البغيض ، الذى جاء به إلى هنا ..

وأفاق من محاوراته مع نفسه ، على صوت طرقات خفيفة على باب غرفته ، فاقترب من الباب ، قائلًا وهو يعتقد أنه خداع سمع :

ـ من بالخارج ؟

سمع صوتها يأتيه من الخارج ، قائلا :

ـ إنه أنا .

لم يصدّق أذنيه ، فلم يكن من المعتاد أن تأتى إلى غرفته ، فى وقت كهذا ، حيث يتهيأ الليل للقدوم ، وفتح الباب ووجهه ينطق بالدهشة ، ليراها أمامه ، وقد ارتدت ثوباً بلون زرقة السماء ، أضاف لجمالها ما يؤكد انسجامها مع جمال الطبيعة ، فهتف قائلا :

ـ (نسمة) .. ما الذى أتى بك إلى هنا مثل هذا الوقت ؟

ابتسمت ، قائلة :

ـ جئت لأرد على سؤالك .

ظل صامتاً ، دون أن ينطق بكلمة ، فتكلّمت هى هذه المرة قائلة :

ـ ألن تدعونى إلى الدخول ؟

أجابها رافضًا .

ـ لا أعتقد أن دخولك الآن سيكون لائقًا .

لم تنتظر دعوته ، بل خطت إلى الداخل ، وتركته واقفا بالقرب من الباب ، وهى تلقى نظرة على الحقيبة التى وضع بها ثيابه ، ثم التفتت إليه ، قائلة :

ـ لو لم أكن واثقة منك لما جئت الآن إلى هنا .

نظر إليها مليًا ، وقد أحس أنه بقدر ما أسعدته هذه العبارة ، فقد آلمته ، إن لم يكن يعتقد أنه يستحق كل هذا القدر من الثقة ، وهو الذى جاء ليخدعها باسم الحب ، فقال دون أن يبرح مكانه ، بالقرب من الباب :

- ولكن .. لو رأتك عمتك الآن .....

قاطعته قائلة :

- أعتقد أنه قد آن الأوان للتحرر من سلطة عمتى .

نظرت إليه نظرة متأنية ، وقد وجدت فى نفسها لأول مرة الشجاعة ، لكى تلتقى عيناها بعينيه ، دون ارتباك أو وجل .. لقد منحت لعينيها الفرصة ، لكى تعبّر عما يسرى بقلبها من عاطفة مشبوبة نحوه ، دون خوف هذه المرة .

ابتسمت قائلة :

- حسناً .. لنخرج إذن ونتجوّل قليلا ، مادام وجودى يربكك على هذا النحو .

تركها تغادر المكان ، ثم تبعها بعد أن أغلق الباب ، دون أن تفارقه الدهشة ، وقالت له وهى تسير إلى جواره :

- (عصام) .. لقد فكّرت كثيراً بعد أن تركتك .. فكّرت فيك ، وفى نفسى .. فى تلك المشاعر التى حدثتنى عنها ، والتى أيقظت فى نفسى أشياءً لم أعرفها من قبل .. فى حياتى التى قضيتها فى هذا المكان ، محرومة من استكمال تعليمى .. محرومة من مغادرة هذه البقعة وحدى ، ومشاهدة العالم حولى .. محرومة حتى من زيارة زميلات الدراسة ..

لقد اصطبغت حياتى بنظام صارم ، فرضته علىّ عمتى ، بدعاوى الخوف علىّ ، وتنشئتى التنشئة الصالحة .. وكنت دائمًا أمتثل ، وأمتثل . إلى أن فقدت القدرة على التعبير عن عواطفى ومشاعرى ، فقد ظللت أسيرة الخوف والنظام الصارم ، الذى فرضته علىّ عمتى ، فى هذا المكان ، وعندما شعرت بأنك

سترحل ، وأننى لن أراك بعد اليوم ، انتابنى نوع آخر من الخوف ، الخوف من أن أفقد الفرصة الوحيدة التى منحها لى القدر ، لكى أعرف الحب .. الحب الذى ربما لم أكن لأعرفه طوال حياتى . إلا على يديك ..

لذا قرّرت - لأول مرة - أن أتمرّد .. أتمرّد على سلطان عمتى ، وعلى كل شىء خضعت له فى هذا المكان ، وكانت أوّل مظاهر هذا التمرد هى المجىء إليك هنا ، لتعرف الإجابة على سؤالك .. نعم يا (عصام) .. المشاعر التى تحسّها يوجد لها مثيل فى قلبى ، وربما أكثر مما تشعر ، ولو أردت أن أصرخ بهذا الآن لفعلت .

غلبه التأثر ، فأغرورقت عيناه بعبرات حبيسة ، وهو ينظر إليها صامتًا ، دون أن يجد من الكلمات ما يمكّنه من أن يعبّر به عن سعادته ، وأخيراً هتف وهو يضمها إليه بقوّة :

- (نسمة) .. إننى .. إننى لا أصدّق نفسى .. أتحبيننى حقًا ؟

كان الغروب قد احتواهما فى رداء رمادى ، ونسمات الصيف المنعشة تداعب أغصان الأشجار حولهما ، وكأنها تريد أن تشاركهما سعادتهما ، وألقت رأسها على كتفه هامسة :

- أما زلت تسألنى ذلك السؤال ؟.. لقد جعلنى حبك أتحرّر من أسوار سجنى .. إننى مستعدة للزواج منك فى الحال لو أردت .

جاءت هذه الكلمة لتوقظه من استغراقه فى تلك المشاعر الرائعة ، التى أحسّها فى هذه اللحظة ، فردّد قائلا ، ورأسها ما يزال على كتفه ، وكأنه لم يضع حسابًا مطلقًا لمثل هذا الأمر :

- نتزوّج ؟!

رفعت رأسها من فوق كتفه ، لتنظر إليه قائلة :

- نعم يا حبيبى .. نتزوج .. ألسنا متحابين ؟

أحس أنه لم يكن مستعدا لأمر كهذا أبداً ، عندما قرر المجىء إلى هنا ، وحتى بعد أن أحبها .. إن فكرة الزواج لم تخطر على باله من قبل ، بل لم تراوده طوال حياته ..

ولكن مادام يحبها على هذا النحو ، وإلى الحد الذى جعله لا يطيق فكرة الابتعاد عنها ، ويشعر بالوحشة والاكتئاب ، لمجرد التفكير فى أنه سيحرم من رؤيتها ، ومادامت قد صرحت له بحبها ، فالوضع الطبيعى إذن أن يتزوجها ..

وأخذ يفكر : فيم الخوف والرهبة إذن ، حينما نطقت بكلمة الزواج ؟! إنها المسئولية .. نعم .. إنه يخشى المسئولية .. أن يكون مسئولا عن زوجة ، ومنزل ، وأولاد فيما بعد ..

لقد عاش طوال حياته يقرر ما يراه بنفسه ، وعندما اختار العمل فى السينما ، ورفض الاستفادة من شهادته الجامعية ، وتحقيق رغبة أبيه ، كان مسئولا عن نفسه .. صحيح أنه لم يحقق نجاحا يذكر ، بل قضى وقتا طويلا ، خاصة فى الفترة الأخيرة ، مثقلا بالمتاعب المالية ، وغارقا فى الديون ، إلا أنه كان يتقبل حياته على هذا النحو ، وغير مستعد لتبديلها ..

أما أن يكون مسئولا عن آخرين .. عن زوجة يحبها ، وعن منزل ، وعن أولاد ، فهذا هو الأمر ، الذى كان يحاول إبعاده دائما عن تفكيره ؛ لأنه كان يخاف من الفكرة ذاتها ..

ونظرت إليه هى ، وقد ساورها بعض القلق ، قائلة :

- فيم كل هذا التفكير .. ألا تريدنا أن نتزوج ؟.

رسم على شفتيه ابتسامة مفتعلة ، قائلا :

- بالطبع .. ولكن عمتك .. هل ستوافق على أن تقترنى بى ؟

(نسمة) :

- ولماذا لا توافق ؟

(عصام) :

- هل ستوافق ، وهى التى ترى فى الفن السينمائى شيئا أشبه بالرذيلة ، أن تتزوجى من كومبارس يعمل فى السينما ؟

(نسمة) :

- إنها كأية مهنة أخرى ليس فيها ما يشين .. ثم أنك مهندس زراعى ، ولديك شهادة جامعية .

(عصام) :

- لكنها لن تنسى أننى (كومبارس) ، وستقابل الأمر بالرفض .

(نسمة) :

- لو فعلت ذلك ، سنتزوج ضد إرادتها .

وعاد (عصام) للتفكير فى هذا الأمر المفاجئ مرة أخرى ، محاولا البحث عن مخرج آخر ، وحدقت فيه ، قائلة :

- لم كل هذا القلق ، البادى على وجهك ؟

نظر (عصام) إليها مليا ، ثم قال :

- وجودك إلى جوارى يعد بالنسبة لى أمنية ، ولكن الزواج مسئولية ، يجب أن يكون المرء مستعدا لها .. إننى أعانى بعض المتاعب المادية ، وقد جربت الحياة لفترة طويلة ، أبعثر ما أحصل عليه اليوم ، دون النظر إلى ما يستجد فى الغد ، دون أن

أدخر شيئا ، ودون أن أبنى لى مستقبلا حقيقيا . فكيف يمكننى أن أكون الزوج الذى تأملينه ؟

ابتسمت له قائلة :

ـ أولا .. إننا لن نتزوج بين يوم وليلة كما تتصور .. ستكون هناك خطوبة أولا ، وثانيا ، إذا كنت تحبنى حقًا ، فإنك ستتغيَر ، كما تغيَرت أنا ... ربما فى الماضى لم يكن لديك هدف تعمل وتدخر من أجله ، أما الآن فقد أصبح لديك هذا الهدف .. أليس كذلك ؟

ووضعت يدها خلف عنقه مردفة :

ـ سيصبح كل منا شخصًا آخر ، منذ هذه اللحظة .. تأكد أن الحب يصنع المعجزات يا (عصام) .. لقد غيرنى حبك ، وسوف تتغير أنت أيضاً من أجلى .

ووخزته فى عنقه بأظافرها ، قائلة :

ـ أليس من الغريب أن تفسد أسعد لحظة فى حياتنا ، بتفكيرك القلق هذا ، وبمخاوف لا داعى لها ؟

وعادت بسمة السعادة تظلّل شفتيه ، وهو يتأمّل وجهها بحنان ، قائلا لنفسه :

ـ نعم .. من الحماقة أن أستسلم لمثل ذلك التردّد .. وأن أفسد لحظة رائعة فى حياتى كهذه ، فى مخاوف لا مبرّر لها .

كان واثقاً من أنه لم يحب إنسانة فى حياته ، كما أحبّ هذه الفتاة ، وكل خلجة من خلجات نفسه تؤكد له أن هذه حقيقة ، لم تعد محلًا لشك .. لقد كان يشعر بالغيرة ، وهو يرى أولئك النجوم الكبار ، يؤدون تلك الأدوار ، التى تحتاج إلى قدرات معينة فى التعبير عن أحاسيس الحب ، وطالما تمنى أن تتاح له الفرصة ،

لكى يؤدى دورًا يعبر من خلاله عن مثل هذه الأحاسيس المفعمة بالعاطفة ، إذ كان واثقاً من نجاحه فى أدائه ؛ لأنه عاطفى بطبيعته ، على الرغم من محاولته الدائمة لإخفاء ذلك ، حتى عن نفسه فى بعض الأحيان ..

ولكنه فى هذه اللحظة لا يؤدى دورًا سينمائيًا ، ولم يعد بحاجة لمن يمنحه مثل هذا الدور ، فهو يعيش قصة حب حقيقية ، وأى ممثل ، مهما كانت براعته ، لن يمكنه أن يُعبّر عن إحساس كالذى يعيشه الآن ، وأية سعادة تصوُرها ، لن تشبه فى شىء تلك السعادة التى غمرته ، حينما اعترفت له (نسمة) بحبها ، فكيف إذن يضيع مثل هذه السعادة من بين يديه ؟ ، وكيف يتخيل حياته ، إذا لم تكن هذه الفتاة تشاركه إياها ؟.. إنه يريدها شريكة لحياته ، ويجب أن يجاهد من أجل ذلك ، مهما كلفه الأمر ..

وقبلها فى جبينها ، قائلا :

ـ نعم يا حبيبتى .. سنتزوّج ، وسأعمل على أن أكون الزوج الذى تفخرين به .

قالت وهى تبتعد عنه قليلًا :

ـ سنعمل معاً على نجاح حياتنا ، فلن أتركك تتحمّل العبء وحدك .

(عصام) :

ـ ماذا تعنين ؟

ابتسمت قائلة :

ـ لقد قرّرت تمثيل ذلك الفيلم ، فنحن بحاجة الآن إلى المبلغ ، الذى سيدفعه لنا المنتج ، مقابل توقيع العقد .

جاءت هذه الكلمة لتوقظه من أحلامه الجميلة ، وتذكره بحقيقة الدور ، الذى جاء من أجله إلى هنا ..

لقد نجح إذن فى تحقيق الهدف المطلوب منه ، ولكنه نجاح رخيص للغاية .. نجاح لم يبتهج له ، بل أفسد عليه سعادته ؛ فهو لم يكن مدركًا لمدى وضاعة الدور ، الذى جاء ليلعبه ، كما يدركه الآن .

وقال لها وقد قطب جبينه :

- إننى لا أوافقك على هذا .

تطلعت إليه بدهشة ، قائلة :

- (عصام) إنك تحيرنى أحيانًا .. فمرة تحذرنى من الانبهار بعالم السينما ، ومن الانجذاب إلى بريقها ، ومرة ترى أن فى رفض التمثيل نوعًا من الحماقة ، وإضاعة لفرصة العمر ، ها أنتذا تعود لتقول أنك لا توافقنى على تمثيل هذا الفيلم ، الذى يعرضونه علىّ .. ألم تكن أنت الذى طلبت منى أن أعيد التفكير فى الأمر ؟

بدا مرتبكًا ، وهو يقول لا :

- نـ .. نعم .. ولكنى أريد أن يأتى هذا من جانبك عن اقتناع ، وليس من أجل مشاركتى فى أعباء مستقبلية ، المفروض أن أكون أنا المسئول الأول عنها .

(نسمة) :

- لقد أصبحت مسئوليتنا نحن الإثنان ، منذ هذه اللحظة ، ثم أن هذا جزء من التمرد ، الذى أعلنته على كل شىء خضعت له من قبل .

اقترب منها ، ليضع يديه على كتفيها ، قائلًا .. وكأنه يحاول أن يبعد عن نفسه أية مسئولية ، فيما يختص بهذا الأمر :

- ولا أريد أيضا أن يكون قبولك لهذا العمل تحت تأثير عنادك مع نفسك .. يجب .. يجب أن تكونى مقتنعة تماما بممارسة هذا العمل .

ابتسمت له ، قائلة :

- ومن قال لك إننى غير مقتنعة ؟ إنه حلم أية فتاة ، أن تكون نجمة سينمائية ، ولقد قلت لك أننى كنت أرغب فى ذلك من قبل لولا رفض عمتى .

بدا (عصام) واقعا تحت تأثير الإحساس بالذنب ، وهو يقول :

- لا أدرى .. ولكن من المستحسن أن نؤجل الحديث فى هذا الموضوع الآن .

وفجأة لمحا شبحين قادمين ، وبالقدر الضئيل الذى منحتهما لهما غلالة الغروب الرمادية ، قبل أن تختفى مع سواد الليل ، تبيّن لهما أن هذين القادمين هما عمة (نسمة) ، ومعها (رزق) حارس المزرعة ، ببندقيته المدلاة فوق كتفه ، وصاحت العمة فى صوت كالزئير ، قائلة لـ (نسمة) :

- هل وصلت بك الوقاحة أن تأتى لمقابلته ، فى ذلك المكان ، وفى مثل هذه الساعة ؟

قالت لها (نسمة) ، وهى تحاول أن تفسّر لها :

- لقد أردت أن أودعه قبل أن يرحل .

أمسكت ذراعيها فى عنف ، قائلة :

- فليرحل إلى الجحيم .. ولكن أنت كيف تسمحين لنفسك أن تلتقى به ، بالقرب من غرفته ، فى وقت كهذا .

قالت (نسمة) متألمة :

ـ عمتى .. اتركى ذراعى .. إنك تؤلميننى .

ولكنها ظلت قابضة على ذراعها فى انفعال ، وهى تردد :

ـ بل سأحطم عنقك ، جزاء فعلتك هذه .

اقترب منها (عصام) ، قائلاً :

ـ إنها لم تفعل شيئاً ، تستحق من أجله كل هذه الثورة .

ولكن (رزق) اعترض طريقه ، مصوبًا إليه بندقيته ، وهو يقول فى غلظة :

ـ لا تتدخل أنت فى هذا .

وتحولت إليه العمة ، وفى عينيها نظرة قاسية ، قائلة :

ـ اصمت أنت ولا تنطق بكلمة .. كان من الخطإ أن أدعك تقيم فى مزرعتى ، فمنذ جئت وأنا لا أشعر بأى ارتياح نحوك .. خذ حقيبتك وارحل عن هنا ، ولا تدعنى أراك بعد اليوم .

(عصام) :

ـ كنت راحلاً على كل حال ، ولكن هناك شيئاً أريد أن أتحدث به إليك أولاً .

بقيت على انفعالها ، قائلة :

ـ إننى غير مستعدة لسماع أى شىء منك .

صاح فيها قائلاً :

ـ إننى لا أعرف لماذا تتخذين هذا الموقف العدائى منى ، مع أنى جئت إليك لتقديم يد المساعدة ؟

قالت مستمرة فى حدتها :

ـ يد المساعدة ؟! لقد جئت لتنصب شباكك حول ابنة شقيقى ؟

ولكنه لم يتراجع أمام حدتها ، بل أزاح بندقية الرجل من أمامه ، وقد ازداد صوته ارتفاعاً ، قائلاً

ـ بل أنا أطلب منك أن أتزوج (نسمة) .

تراجعت خطوتين إلى الوراء ، وهى تنظر إليه فى دهشة ، قائلة وكأنها لم تستمع إليه جيدًا !

ـ ماذا قلت ؟

قال بثبات :

ـ قلت أريد الزواج من (نسمة) ، وهى تبادلنى نفس الرغبة .

ارتسمت على شفتيها ابتسامة ساخرة ، وهى تقول :

ـ هل تريد منى أن أزوجك ابنة أخى ؟.. لابد أنك تهذى ..

ولكن (نسمة) تدخلت قائلة :

ـ لا يا عمتى .. إنه لا يهذى .. لقد اتفقنا على الزواج .

نظرت إليها بشراسة ، وهى تشير إلى (عصام) ، قائلة :

ـ تتزوجى من هذا ؟!.. من (كومبارس) فى السينما .. هل جننت ؟.. ألا تعرفين من هو والدك ، ومن هو جدك ؟

قالت لها ، وقد وجدت فى نفسها الجرأة لتواجهها هذه المرة :

ـ لا أعرف سوى شىء واحد ، هو أنه ليس من حقك أن تحرمينى من سعادتى ، مع الرجل الذى اختاره قلبى .

رفعت العمة يدها إلى أعلى ، لتهوى على صدغها بصفعة قوية ، وهمت بأن تهوى على وجهها بصفعة أخرى ، ولكن (عصام) أمسك رسغها فى قوة ، قائلاً :

ـ هذا يكفى .

شعر (رزق) بالأسى من أجل الفتاة ، فقال للعمة بصوت منخفض دون أن يحاول التدخل لمنع (عصام) هذه المرة :

- يا ست هانم .. الأمر لا يستحق كل هذا .. ما دامت الأغراض شريفة ، ومادام يريد أن يتزوجها ، وفقاً لشريعة الله .

نزعت العمة رسغها من يد (عصام) فى قوة ، قائلة للرجل وعيناها تطلقان شرراً :

- اصمت أنت أيها الوغد .. كيف تجرؤ على التحدث معى فى هذا الشأن .

نكس الرجل وجهه دون أن ينطق بكلمة ، فى حين تحولت العمة إلى (عصام) قائلة :

- أريد أن تغادر مزرعتى الآن .. فى هذه اللحظة .

قالت لها (نسمة) وهى تذرف الدموع :

- سأرحل معه .. إننى لست قاصراً .. ولن أسمح لك بالتحكم فى حياتى بعد اليوم .

تدخل (عصام) قائلاً للفتاة فى هدوء :

- لا يا (نسمة) .. ستبقين الآن ، فأنا لن أقبل أن تذهبى معى فى ساعة متأخرة كهذه .

ثم نظر إلى العمة فى تحد ، قائلاً :

- حسناً .. سأرحل الآن ، ولكن هذا لن يغير من الأمر شيئاً ، فأنا و (نسمة) سنتزوج بموافقتك ، أو دون موافقتك .

وانصرف دون أن يلوى على شىء ..

★ ★ ★

١٠ - حطمت قلبى ..

ألقى (عصام) نظرة سريعة على ذلك المنزل الصغير ، المتوسط القدم ، ثم أسرع بصعود درجات السلم ، بعد أن ألقى نظرة أخرى على قصاصة الورق التى يحملها ، ليتأكد من العنوان ، وضغط على زر الجرس عند إحدى الشقق ، ثم وقف يتطلع إلى الباب بقلق ، وبعد قليل فتح الباب ، لتظهر من خلفه سيدة فى الأربعينات من عمرها ، وقد أفرطت فى استخدام الزينة ؛ لتبدو أصغر من عمرها ، ونظرت إليه المرأة فى فضول ، قائلة :

- هل من خدمة ؟

سألها (عصام) :

- آسف أن حضرت هكذا دون موعد ، ولكن هل الآنسة (نسمة) تقيم هنا ؟

قالت بجمود :

- من أنت ؟

(عصام) :

- أنا (عصام) .. (عصام زهدى) ..

وفجأة جاءت (نسمة) من الداخل ، وهى مقطبة الجبين ، وقالت له :

- تفضل يا أستاذ (عصام) .

نظرت إليها السيدة بدهشة ، قائلة :

ـ أهذا هو (عصام) ، الذى .....

أجابتها ببرود :

ـ نعم .. إنه هو .

أفسحت له السيدة الطريق ، فدخل قائلا لها ، وعلى وجهه ابتسامة :

ـ لابد أنك خالة (نسمة) .

أجابته دون أن تبادله ابتسامته :

ـ نعم .

ثم تركته واقفاً فى مدخل الردهة ، ودخلت إلى إحدى الحجرات ، وبدا أن (عصام) لم يلحظ من فرط سعادته بلقاء (نسمة) ، ذلك الجمود المرتسم على وجهها ، وتلك الطريقة الجافة التى استقبلته بها ، فتطلع إليها فى شوق ، قائلا بهمس :

ـ (نسمة) .. حبيبتى .. كم أوحشتنى ؟

قالت دون أن تبادله مشاعره :

ـ تفضل فى حجرة الضيوف .

تبعها إلى الداخل ، وقد بقيت فرحته بلقائها طاغية ، على الالتفات إلى ذلك التغيير ، الذى طرأ عليها ، فتابع حديثه قائلا :

ـ لقد شعرت بوحدة لا تحتمل ، خلال الأسبوع الذى ابتعدت فيه عنك ، وفى النهاية قررت ألا أعبأ بشىء ، وأن أحسم الأمر مع عمتك ، فذهبت إلى المزرعة ، ولكننى كشفت أنك قد غادرتها منذ ثلاثة أيام ، وحاولت مقابلة عمتك ، ولكن عم (رزق) حال دون ذلك ، حتى لا تزيد الأمور سوءا ، إذ كانت ثائرة للغاية منذ رحيلك

عنها ، وعندما طلبت منه معرفة عنوانك ، أخبرنى أنك قلت له قبل سفرك أنك ستذهبين إلى خالتك فى (القاهرة) ، وأرشدنى إلى العنوان .. إننى لم أكن أعرف هذا الرجل جيدا ، فهو رجل طيب للغاية ، ويحبك كابنته .

كانت تستمع منه إلى كل هذا ، دون أن يطرأ تغيير على ذلك القناع الجامد ، الذى رسمته على وجهها ، فى حين استطرد هو ، قائلا :

ـ (نسمة) .. إننى أحبك بجنون ، ولن أسمح لأحد أن يبعدك عنى .. سأطلب يدك من خالتك ، ولنعلن خطبتنا الأسبوع القادم ، أو غداً لو وافقت .

قالت له بلهجة باردة :

ـ لا أعتقد أنه سيكون بيننا أى ارتباط ، سواء غدا .. أو الأسبوع القادم ، أو بعد خمسين عاماً ، فأنا لا أريد الزواج منك .

جاء هذا الرد القاسى ، لينبهه إلى ذلك التغيير الذى لم يلحظه منذ البداية ، نظر إليها فى ذهول ، قائلا :

ـ (نسمة) .. ماذا تقولين ؟ أنسيت اتفاقنا ، وذلك الحب الكبير الذى يجمع بيننا .. ما الذى ألمّ بك ؟

ولأول مرة خرجت عن جمودها ، لتواجهه بانفعال ، قائلة :

ـ إياك أن تتحدث عن الحب ، فمثلك لا يعرف ما هو الحب .

اقترب منها قائلا فى حيرة :

ـ (نسمة) ...

ولكنها ابتعدت عنه ، وهى تقاطعه قائلة :

ـ لقد رحلت عن مزرعة عمتى متسلحة بحبى لك .. قررت أن أتحدى كل شىء من أجلك .. إذ لم أعد أتصور أن تكون لى حياة لا وجود لك فيها ..

جئت إلى خالتى ، وأقنعتها بأن تستضيفنى لديها ، وكان أول شىء فكرت فيه هو أن أذهب إليك ، وأخبرك بأن رفض عمتى لن يحول دون تنفيذ ما عاهدتك عليه ، وعلى الرغم من كل المتاعب والظروف ، التى أحاطت بى ، كنت سعيدة .. سعيدة بتلك القوة ، وذلك الإصرار اللذين أيقظهما بداخلى حبك .. سعيدة لأننى سأحقق الأمنية التى تمنيناها معا ..

وذهبت إلى الأستوديو لأسأل عنك ، وهناك أخبرونى أنك غير موجود ، وعندما هممت بمغادرة الأستوديو استوقفنى أحدهم .. لقد كان من ضمن المجموعة التى جاءت لتصوير بعض المشاهد فى المزرعة ، وعرفت فيما بعد أنه مدير الانتاج للفيلم الذى رشحونى له .

وحدجته بنظرة ثابتة ، قائلة :

ـ أتعرفه يا سيد (عصام) ؟

تقلصت عضلات وجهه ، وقد بدأ يفهم ، واستطردت قائلة :

ـ استقبلنى الرجل بترحاب ، متسائلا عن سبب حضورى إلى الأستوديو ، وعندما أخبرته أننى قد جئت للبحث عنك ، ارتسمت على وجهه ابتسامة خبيثة ، قائلا بعبارة لم أفهم معناها ، وهى أنك « ماهر للغاية » وإن كنت قد فهمت معناها فيما بعد ، فالحق يقال أنك كنت بالفعل ماهرا للغاية فى خداعك لى .

حاول أن يتحدث ولكنها قاطعته وهى مصرة على تكملة قصتها حتى النهاية ، قائلة :

ـ وسألنى ذلك الرجل بثقة ، عن الوقت الذى أرغب فى توقيع العقد فيه على بطولة الفيلم ، ولكنى أخبرته أننى لن أفعل ذلك قبل

الرجوع إليك أولا .. وأخبرته أننا فى حكم المخطوبين ، ولابد أن يتم هذا الأمر بالاتفاق بيننا ، وكم كانت دهشتى عندما قال لى : « ولكننا متفقون على كل شىء » .. وسألته عن المعنى الذى يقصده من هذه العبارة ، فأخبرنى بالقصة كلها ، وعن السر الحقيقى وراء حضورك إلى المزرعة ، ومبلغ الثلاثة آلاف جنيه ، وخطة الإيقاع بقلب الفتاة الساذجة ، التى هى أنا .. لم أصدق ما قاله فى البداية ، ولكن عندما ذهبت معه إلى مكتب ذلك المنتج ، وأعاد علىّ قصة ذلك الاتفاق ، الذى عقدوه معك ، تبدت لى الحقيقة واضحة ، وأدركت أى إنسان مخادع أنت .. لقد خدعتنى .. خدعتنى باسم الحب ، من أجل أن تنال تلك الآلاف الثلاثة ، لكى تصلح بها أحوالك المادية المضطربة ، ومن أجل وعدهم لك بالحصول على أدوار أفضل ، وكنت مستعدًا لأن تستمر فى خدعتك حتى النهاية ، حتى لو اضطرك الأمر لشراء دبلتى خطوبة .

وآلمته نظرة الاحتقار البادية على وجهها ، فقال لها دافعا الاتهام عن نفسه :

ـ لا .. لا يا (نسمة) .. إننى أريد أن أتزوجك ؛ لأننى أحبك بالفعل .. أنت أول إنسانة تتحرك لها مشاعرى ، وأحس بحاجتى الحقيقية إليها .. إن كل ما قصوه عليك صحيح .. ولكن هذا كان فى البداية فقط .. لقد كنت مفلسا تماما ، ومثقلا بالديون ، عندما قدموا لى هذا العرض ، ووعدونى بالمساعدة فى عملى ، ولحاجتى إلى النقود والمساعدة قبلت عرضهم ، وجئت لأمثل عليك دور الحب ، ثم التأثير عليك لتوقعى على الفيلم ،

ولكن ما حدث بعد ذلك كان مختلفاً .. لقد تحوّل التمثيل إلى حقيقة .. ووجدت نفسى أنجرف إلى عاطفة حب قوية تجاهك بالفعل ..

إن كل كلمة قلتها لك فى تلك الليلة التى تصارحنا فيها بحبنا ، وتعاهدنا على الارتباط ، كانت حقيقية ، وصادرة من قلبى .. صدقينى .

قال ذلك بتوسّل وهو يمسك يدها ، لكنها انتزعت يدها من يده فى انفعال ، قائلة :

ـ لو كان هذا صحيحًا .. لماذا لم تخبرنى ؟ ، لماذا لم تطلعنى على الخطة التى اشتركت فيها مع هذين الرجلين ، لخداعى باسم الحب ؟

(عصام) :

ـ كنت أخشى ألا تتفهمى الأمر ، وأن تسيئى الظن بحبى لك ، وكنت عازماً على أن أخبرك بكل شىء فى الوقت المناسب .

وتطلّعت إليه فى سخرية ، قائلة :

ـ الوقت المناسب ؟!. ومتى كان سيأتى هذا الوقت المناسب فى تقديرك .. بعد أن أوقع العقد وتقبض عمولتك ..

اطمئن يا حضرة الممثّل البارع .. لقد وقعت لهم العقد .. والمبلغ الذى حددوه لك موجود هناك فى انتظارك .

قال لها (عصام) بأسى :

ـ أرجوك يا (نسمة) لا تسيئى الظن بى على هذا النحو .. تذكرى أننى طلبت منك ألا تتسرعى فى التوقيع على هذا العقد .. وأن تعيدى التفكير فى الأمر .

استمرت فى سخريتها ، قائلة :

ـ هذا يظهر مدى براعتك فى أدائك لدورك ، فأنت بذلك أردت أن تنفى عن نفسك أية شبهة ، وأن تجعلنى أبدو وكأننى أنا التى قمت بالاختيار فى النهاية .

صرخ فيها قائلاً :

ـ هذا ليس صحيحاً .

ابتسمت فى عصبية ، قائلة :

ـ إذن ما هو الصحيح ؟ هل كان الأمر صحوة ضمير مؤقتة ؟

هز رأسه فى ألم ، قائلاً :

ـ (نسمة) .. إننى أحبك .. أرجوك صدقينى .. إننى لا أريد هذه النقود .. لا أريد أحداً سواك .

قالت فى استخفاف :

ـ بل اذهب لتأخذها ، فأنت تستحقها ، ولا داعى لتمثيل دور الشهامة والحب معى ، فأنت هذه المرة غير مقنع فى أدائك لدورك ، أيها الممثّل الموهوب .

استمر فى رجائه ، قائلاً :

ـ أرجوك يا (نسمة) ، لا تضيعى حبنا .

ولكنها قالت له ، وقد حرصت على أن تبقى متماسكة :

ـ أرجوك أنت .. تفضل الآن ... ستحضر سيارة الأستوديو لتأخذنى غداً ، وأنا بحاجة لبعض الوقت لقراءة السيناريو .

نظر إليها قائلاً ، وفى عينيه نداء :

ـ (نسمة) .

وفى تلك اللحظة تدخلت خالتها ، التى كانت تنصت إلى حديثهما قائلة :

- ألم تسمع ما قالته لك أيها السيد ؟ لقد انتهى الأمر ، وهى لا تريد أن تراك بعد الآن .

ظل ينظر اليها، دون ان يتحرك من مكانه، وكأنه لم يستمع إلى ما قالته خالتها ، التى أزاحته بيدها مستطردة :

- وأنا أيضا لا أريد أن أراك بعد اليوم فى شقتى .. تفضل .

غادر (عصام) الشقة صامتا، وقد عصفت به حالة من الحزن والاكتئاب ، حتى بدا مترنحاً ، وهو يهبط درجات السلم ، فى حين اندفعت (نسمة) بعد أن أغلق الباب خلفه ، لتلقى بنفسها على المقعد المجاور ، وقد انخرطت فى بكاء حار ، واقتربت خالتها لتجلس على مسند المقعد ، وهى تلف ذراعيها حول كتفى (نسمة) قائلة :

- لماذا البكاء الآن يا حبيبتى ؟ إن شخصاً كهذا لا يستحق أن تبكى من أجله ؟

استمرت (نسمة) فى نحيبها ، وقد بللت الدموع ثيابها، دون أن تقوى على السيطرة على نفسها ، على الرغم من محاولات خالتها ، وأخذت تضرب بيدها على المسند الآخر للمقعد ، فى انفعال بالغ ، وهى تردد قائلة :

- مخادع .. مخادع .

ثم أردفت من خلال دموعها ، قائلة :

- لقد حطم قلبى .. حطمه تماماً .

* * *

١١ - جراح الماضى ..

هتف المخرج، قائلا :

- (ستوب) .

ثم اقترب من (نسمة) ، قائلا :

- عظيم .. لقد جاء المشهد على النحو الذى أريده تماما .. إنك تتقدمين سريعاً يا (نسمة) .. وسوف يكون لك مستقبل كبير فى السينما .

ابتسمت (نسمة) وهى تشعر بالبهجة ، من جراء هذا التقدير ، فى حين فرك (نيازى صادق) منتج الفيلم يديه ارتياحاً وجزلاً ، ودنا منها قبل دخولها إلى غرفتها ، قائلا ومشجعا :

- ألم أقل لك أنه سيكون لك شأن كبير فى عالم السينما .. إن مخرجاً عبقريًا مثل (عز الدين صبرى) ، عندما يقول لك : إن المستقبل مفتوح أمامك ، فهذا يعنى أنه واثق من قدراتك كممثلة .

- قالت وابتسامة ساخرة تتراقص على شفتيها :

- أعتقد أنك الآن مطمئنا على نقودك .

ضحك لتعليقها ضحكات لا معنى لها ، ولكنها سرعان ما سألته قائلة :

- بالمناسبة .. هل حصل ذلك الشخص .. أعنى (عصام) .. على المبلغ الذى وعدته به ؟

أجابها قائلًا :

- ذلك الرجل غريب حقًا .. لقد جاء إلى مكتبى منذ عدة أيام ، وأعلن رفضه التام للحصول على المبلغ ، الذى سبق أن اتفقت معه عليه ، وقال إنه متنازل عنه ، وعن أى شىء آخر بخصوص هذا الاتفاق .

بدا بعض الاهتمام على وجهها ، وهى تقول :

شىء غريب حقًا .. ألم يكن له دور ثانوى فى هذا الفيلم ، الذى أمثله ؟

ردَّ عليها قائلًا :

- لقد رفض القيام بالدور أيضًا ، مما اضطرنا إلى الاستعانة بكومبارس آخر .

وفى تلك اللحظة حضر بطل الفيلم (وحيد حمدى) قائلًا للمنتج :

- (نيازى) بك .. هل تسمح لى بحديث قصير مع الآنسة (نسمة) ؟

قال له المنتج مرحبًا ، وهو يتأهب للانصراف :

- بالطبع .. بالطبع .. تفضَّل .

وأمسك (وحيد) بمرْفقها ، وكأنه صديق قديم ، لينتحى بها جانبًا ، وهو يقول :

- برافو يا (نسمة) ... كنت ممتازة .

قالت بارتباك :

- أشكرك يا أستاذ (وحيد) .

(وحيد) :

- لا .. إننى لا أجاملك .. لقد مر عليك أسبوعان الآن ، ونحن نعمل معًا ، وأستطيع بحكم خبرتى أن أؤكد لك أنك موهوبة بالفعل .

لم تدر ماذا تقول ، استطرد هو قائلًا :

- وتقديرًا منى لموهبتك هذه ، فإننى أدعوك للعشاء معى هذه الليلة .. سأجعلك تقضين سهرة رائعة لن تنسيها .

قالت متلعثمة :

- أشكرك يا أستاذ (وحيد) .. ولكن .. ولكنى لا أستطيع السهر بالخارج .

قال لها بإلحاح :

- إنك فنانة الآن يا (نسمة) ، والفنانة يجب أن تعتاد السهرات والعلاقات الاجتماعية والحفلات .. يجب أن تنسى تمامًا (نسمة) القديمة ، وتعرفى أنك مقبلة الآن على مرحلة جديدة فى حياتك .

سألته بدهشة ، وكأنها تستكشف عالمًا جديدًا ومجهولًا بالنسبة لها :

- وهل هناك ارتباط بين السهرات والحفلات ، وبين عملى كفنانة ؟

(وحيد) :

- بالطبع .. إن جزءًا من هذه السهرات للترويح عن النفس ، بعد متاعب يوم مرهق أمام الكاميرات ، أما الجزء الأكبر منها ، فهو للدعاية وتقديم نفسك للمجتمع ، والعاملين فى الحقل السينمائى ، خاصة لوجه جديد مثلك .

قالت وهى تشعر بعدم تقبلها لذلك النوع ، من العلاقة الاجتماعية :

ـ أعتقد أننى لن أكون قادرة على مجاراة هذا المناخ ، فأنا لا أميل للسهرات ، ولا أعرف كيف أتعامل مع تلك الحفلات ، التى تكتظ بعشرات المدعوين .

عاد لإلحاحه ، قائلا :

ـ يجب أن تعتادى ذلك ، فهذا هو طريقك نحو النجومية .

قالت فى حيرة :

ـ كنت أظن أن أداء الفنان وقدراته ، هى التى تصنع منه نجمًا .

قال ساخرا :

ـ من الحماقة أن تتصورى ذلك ، فقدرات الفنان وحدها ، دون دعاية وعلاقات اجتماعية متميّزة ، تجعل نجمه يأفل سريعاً ..

أنت ما زلت حديثة العهد على الوسط السينمائى ، وهناك أشياء كثيرة تجهلينها .. تأكدى أننى سأكون لك صديق مخلص ، وسوف أساعدك لكى تصبحى نجمة كبيرة من نجوم السينما ، لا تقل بأى حال من الأحوال عن واحدة مثل (نادية فوزى) .. وهذا وعد .

* * *

استقبلتها خالتها مُرحِّبه ، وهى تقول :

ـ كيف كان يومك يا (نسمة) ؟ أهم راضون عنك ؟ أعنى المخرج والمنتج وأولئك العاملون معك فى الفيلم ؟

قالت لها (نسمة) ، وهى تبدل ثيابها :

ـ إنك حتى لم تحاولى أن تسألينى عن سبب تأخرى كل هذا الوقت .

أعانتها فى ترتيب ثيابها ، قائلة :

ـ إننى أعرف جيداً أن الذين يعملون فى السينما لا يتقيدون بمواعيد محدودة .. هل أعد لك الغداء ؟

قالت (نسمة) ، وهى تسترخى فوق الأريكة ، التى تتوسّط الردهة :

ـ لقد تناولت بعض السندوتشات فى الاستوديو .

وصمتت برهة قصيرة ، ثم قالت :

ـ هل تعرفين أن الممثل المشهور (وحيد حمدى) قد وجّه إلىّ دعوة ، لتناول العشاء والسهر معه ؟

هتفت خالتها غير مصدّقة .

ـ (وحيد حمدى) نفسه .

وحدجتها (نسمة) بنظراتها ، قائلة :

ـ هل ترين أن أقبل دعوته ؟

قالت لها خالتها ، وكأنها تستغرب توجيه مثل هذا السؤال :

ـ بالطبع .. أية فتاة تتمنى لو حظيت بلقاء قصير مع (وحيد حمدى) ، واختياره لك للسهر معه ، يعنى أنك فتاة محظوظة .

مطت (نسمة) شفتيها ، قائلة :

ـ هل هذا هو رأيك ؟

نظرت إليها خالتها بدهشة ، قائلة :

ـ وهل يحتاج إلى رأيى ؟ .. إن رأيى هو أن تنحازى إلى ما فيه مصلحتك ... إنك مقبلة على عالم جديد .. ستقدّم لك دعوات إلى سهرات وحفلات خاصة ، بعد أن تصبحى نجمة معروفة ومشهورة ، ويجب أن تهيئى نفسك لذلك .

قالت (نسمة) بلا مبالاة :

ـ هذا نفس ما قاله لى (وحيد حمدى) .

(خالتها) :

ـ وهذا هو عين الصواب .

ثم همست وفى عينيها نظرة جشع ، قائلة :

ـ وطبعاً لن تنسى خالتك ، عندما تجرى فى يدك النقود ، وتصبحين نجمة شهيرة ..

إنك بالطبع لن تستمرى فى الإقامة ، فى ذلك المنزل المتواضع ، فى المستقبل ، وستنتقلين إلى شقة فاخرة فى (الزمالك) أو (المعادى) أو (المهندسين) ، وربما انتقلت إلى الإقامة فى الفيلا .. ولن تتركين خالتك المسكينة فى هذا الجحر ، تعانى الفقر ، اعتماداً على الجنيهات القليلة التى أحصل عليها ، من معاش زوجى المتوفى .. إننى مستعدة للانتقال معك إلى أى مكان تذهبين إليه ، وتأكدى أننى سأقوم على رعايتك وخدمتك ، بكل حب وإخلاص ، فأنت ابنة الفقيدة الغالية .

وأعقبت ذلك باصطناع بعض البكاء ، تأثرًا بذكرى أختها الراحلة ، وقالت لها (نسمة) ، دون أن يبدو عليها أنها قد تأثرت ببكائها الزائف .

ـ حسنًا .. اطمئنى ستكونين معى حيثما أذهب .

وعلى الفور تبدلت ملامح الخالة ، فابتسمت وهى تُقبّل ابنة أختها ، قائلة :

ـ لا يحرمنى الله منك يا بنيتى .

صمتت (نسمة) برهة ، ثم قالت :

ـ لقد أخبرنى المنتج أن (عصام) رفض المبلغ ، الذى عرضوه عليه من قبل .. ألا يعنى هذا ...

ارتسمت معالم القلق سريعاً على وجه خالتها ، وقد خشيت أن يكون ذلك مقدمة لتقارب جديد بينها وبين الشاب الذى أحبته ، بما يعنيه ذلك من تقلص نفوذها عليها ، وازدياد تأثيره من ناحية أخرى ، فقالت لها مقاطعة :

ـ ما الذى يعنيه ؟ لقد وجد أن مبلغ الثلاثة آلاف جنيه صغيراً بالنسبة له ، بعد أن نجح فى لعبته معك ، فأراد أن يحصل على الغنيمة الكبرى .

وكرّرت (نسمة) ما قالته خالتها ، قائلة :

ـ الغنيمة الكبرى ؟!. ماذا تعنين ؟

قالت لها بأسلوب ينطوى على شيء من الدهاء :

ـ لقد رأى أن لعبته قد أدت إلى أن تكونى بطلة سينمائية ، ينتظرك مستقبل عريض ، فأراد أن يستمر فى لعبته حتى النهاية ..

يظهر أمامك بمظهر النادم على ما فعله معك ، ويقدم الإثبات على ذلك ، برفضه المبلغ الذى عرضوه عليه ، مدللًا على حبه لك ، وشيئًا فشيئًا يعاود الحديث عن الحب والمشاعر الصادقة مرة أخرى ، حتى تصدقيه ، وتوافقى على الزواج منه ، وعند ذلك يكون قد نال الدجاجة التى ستبيض ذهبًا .. هل عرفت لماذا رفض الثلاثة آلاف جنيه ؟ وهزّت (نسمة) رأسها رفضًا ، وهى تقول :

ـ لا .. لا يمكن أن يكون (عصام) على هذه الصورة .

نبهتها خالتها ، قائلة :

ـ أما زلت تدافعين عنه ؟ هل نسيت سريعاً خديعته لك ؟

صمتت (نسمة) وقد تنازعتها مشاعر شتى ، فجزء منها كان يرفضه وينقم عليه ، وجزء آخر كان يدعوها إلى الصفح عنه ، والارتماء بين ذراعيه .. لقد كان باقياً فى قلبها بكل ما يسبّبه لها من جراح .

وفجأة توالى رنين جرس الباب الخارجى على نحو مزعج ، فقالت الخالة وهى تتجه لفتح الباب :

ـ من الذى يأتى إلينا فى هذه الساعة ؟ ولماذا يضع يده على الجرس بهذه الطريقة المزعجة ؟

وفتحت الباب قائلة :

ـ (درية) هانم .

واندفعت عمة (نسمة) إلى الداخل ، دون انتظارًا لإذن ، وهى بادية الانفعال ، قائلة :

ـ أين (نسمة) ؟

واضطرت (نسمة) حينما رأتها ، قائلة :

ـ عمتى ؟

صاحت فيها ، قائلة :

ـ ما الذى تفعلينه هنا ؟

أجابتها قائلة :

ـ إننى أقيم مع خالتى .

قالت لها العمة وهى ثائرة :

ـ هل ما سمعته حقيقى ؟

(نسمة) :

ـ ما الذى سمعته ؟

(العمة) :

ـ هل وافقت على تمثيل ذلك الفيلم ؟

نكست (نسمة) رأسها ، كما لو كانت قد ارتكبت ذنبًا ، قائلة بصوت خفيض :

ـ نعم .

وازدادت ثورة العمة ، وهى تقول :

ـ وكيف تقدمين على ذلك ؟ ألا تدرين أية إساءة تلحقينها بنا وبنفسك ؟

تدخّلت خالتها ، قائلة :

ـ إنها حرَة ، وليس فى عملها بالسينما ما يلحق بنا الإساءة .

تحوّلت إليها العمة فى شراسة ، قائلة :

ـ بل إنها ليست حرة .. ولا تتحدثى إلا على نفسك ، فأنت آخر من له حق التدخل فى أمر كهذا .. إذ أن أمثالك تتساوى الأوضاع بالنسبة لهم .

انفعلت الخالة بدورها ، قائلة :

ـ كيف تحدثيننى على هذا النحو ؟.. هل جئت لإهانتى فى بيتى ؟

صرخت (نسمة) ، قائلة :

ـ كفى .

ثم خفضت من صوتها ، محاولة أن تبدو هادئة ، وهى تقول لعمتها :

- عمتى .. أرجوك دعينى أحيا حياتى بالطريقة التى تحلو لى .. إننى لا أريد أن أغضبك ، ولكنى لن أتراجع عن الطريق التى اتخذته لنفسى .

احتدّت العمة ، قائلة :

- بل ستعودين معى إلى المزرعة ، ولن أسمح لفتاة مثلك ، هى ابنة أخى ، أن تتصرّف بالطريقة التى تحلو لها كما تقولين ، حتى لو اضطررت إلى أن أجذبك من شعرك جذبًا إلى الخارج .

ازداد انفعال خالتها بدورها ، وهى تقول :

- تجذبين شعر من ؟. وهل تعتقدين أننى سأسمح لك بهذا .. لا تنس أنها ابنة شقيقتى ، كما هى ابنة شقيقك ، ولن أدعك تفرضين عليها سطوتك مرة أخرى .

قالت العمة متهكّمة :

- شقيقتك ؟!. هل تريدين أن أروى لها حقيقة شقيقتك ؟

وارتسم الذعر على وجه الخالة ، وهى تقول :

- اصمتى .

قالت العمة متحدية :

- لماذا ؟.. من الأفضل لها أن تعرف الحقيقة ، ما دامت تريد أن تسلك نفس الطريق .

اندهشت (نسمة) لهذا الحديث الغامض ، وما أحدثه من أثر على وجه خالتها ، فنظرت إلى عمتها ، قائلة :

- ما هى الحقيقة التى تعرفينها عن أمى ؟

وظلت أمارات التحدّى مرتسمة على وجه العمة ، وقد تحولت إليها :

- إن كل ما تعرفينه عن أمك هى أنها قد توفيت ، فى البلدة التى نقيم بها ، ودفنت هناك وأنت صغيرة ، لا يتجاوز عمرك الثلاثة أعوام ، أما ما لا تعرفينه .. صرخت فيها الخالة متوسلة :

- اصمتى .. أرجوك .

وكأنما زادها هذا التوسل تحديا ، فاستطردت قائلة :

- ما لا تعرفينه هى أنها كانت راقصة .

ارتفع حاجب (نسمة) فى دهشة ، مرددة :

- راقصة ؟!.. أمى أنا راقصة ؟!

قالت لها العمة فى تشفٍ :

- نعم .. راقصة متخصصة فى إحياء الأفراح ، وقد تزوجها أبوك ، بعد أن أغرته ، وسقط فى حبالها ، عندما كان يتردد على (القاهرة) ، فاحتفظ بهذا الزواج سرًا ، خوفا من جدك ، وعندما توفى جدك صارحنى بالحقيقة ، وتوسل إلىّ أن أصفح عنه ، بعد أن أفهمنى أنها قد اعتزلت الرقص ، بعد زواجه منها ، وتحولت إلى إنسانة أخرى ، وطلب منى أن تأتى للحياة معنا فى المزرعة ، وعلى الرغم من اعتراضى على الأمر ، ورفضى المطلق له فى البداية ، إلا أننى رضخت فى النهاية للأمر الواقع ، خاصة بعد أن جئت أنت للحياة .. لم أرد لك أن تعيشى بعيداً عن أبيك ، فوافقت على أن يأتى بكما إلى المزرعة ، بشرط أن تخفى حقيقة عملها تماما عن أهالى البلدة ، وأن أتولى أنا بنفسى تربيتك ، كما طلبت أن تقطع صلتها تماماً بأهلها ، وبكل من كانت له علاقة سابقة بها ، ولكن الأفعى تحن إلى الجحور .. فلم تقنع أمك بالفرصة التى منحها لها الله للتوبة ، بل سرعان ما هربت من المزرعة ،

بعد عام واحد من إقامتها بها ، وسافرت بجواز سفر مزيف إلى الخارج ، لتزاول مهنتها فى أحد الملاهى الليلية ، بعد أن اتفق معها أحد الأشخاص على ذلك ، ولم يشأ أبوك أن يثير فضيحة من أجلك ، فطلقها سرًا . ويأتى انتقام الله سريعاً ، على إثر إصابتها فى حادث سيارة بالخارج ، فارقت بعده الحياة .. ومن أجلك أيضاً تسلّم أبوك الجثة ، ودفنها فى مقابر العائلة ، بعد أن زعم لأهالى البلدة أن الحادثة التى تعرّضت لها ، كانت فى أثناء رحلة علاج لها بالخارج ..

وهكذا أخفينا الفضيحة ، ونشأت لا تعرفين سوى أن أمك كانت سيّدة فاضلة ، تحظى بكل احترام وتقدير ، وهذا يفسّر لك سر قسوتى ، وتشدّدى فى تربيتك ، حتى لا تنشئى على شاكلتها ، ثم تأتين أنت لتفسدى كل ذلك ، وتهربين من المزرعة ، لتكرّرى القصة مرة أخرى .

انهارت الخالة على إثر انتهاء العمة من روايتها ، وهى تبكى بدموع حقيقية ، قائلة :

- حرام عليك .. لماذا أخبرتها بذلك ؟ لماذا تجدّدين هذه الذكرى الأليمة ؟

تهالكت (نسمة) فوق أحد المقاعد ، وقد تحجّرت الدموع فى عينيها ، وهى تهز رأسها مردّدة :

- غير معقول .. غير معقول .

اقتربت منها عمتها ، قائلة :

- بل هذه هى الحقيقة .. والآن ستعودين معى .

اندفعت خالتها لتفصل بينها وبين (نسمة) ، قائلة :

- لا .. لن تعود معك .

ثم قالت لـ (نسمة) وهى تحدج العمة بنظرة نارية :

- إن ما لم تقله لك هذه المرأة ، هو أن السبب الحقيقى فى هروب أمك من مزرعتها ، وعودتها للرقص ، هو ما ألحقته بها من ذل وأذى .. إنها لم تغفر لها أبدا أنها قد تزوجت من أبيك ، وظلت تعايرها بماضيها وعملها السابق ..

لم تكتفى بأنها حولتها إلى خادمة ، تنوء بعبء المنزل كله ، كأنما تنتقم منها ، بل لم تدع فرصة واحدة إلا وذكرتها بأنها الراقصة ، التى نالت شرفا لا تستحقه ، بزواجها من أبيك ..

وكان والدك رجلا ضعيفا مترددا ، لا يقوى على التصدى لقسوة عمتك .. بل أحيانا كان ينظر إلى أمك فى صمت وعيناه تنطقان بشعوره بالخزى منها ، ولكونها زوجة له وأم لابنته .

هل تعرفين الآن لماذا هربت أمك من المزرعة ؟ ولماذا عادت إلى الرقص ؟.. العمل الوحيد الذى كانت تجيده ، وتحصل منه على قوتها .

انتحبت (نسمة) مرددة :

- يا حبيبتى يا أمى ..

قالت لها عمتها ، وهى تحاول أن تمتص منها شعورها بالعطف نحو أمها :

- لا تصدقيها .. إنها تريد أن تبقيك هنا لتستغلك .. عودى معى يا (نسمة) إلى المزرعة .

هزت (نسمة) رأسها بإصرار ، وهى تقول بتحدّ :

- لا .. لن أعود معك .. ربما هى تحاول استغلالى كما تقولين ، ولكن هذا بالنسبة لى أهون بكثير من أن أعود إلى المرأة ، التى

حطمت أمى ، والتى استولت علىّ من بين أحضانها .. لن أعود لتسلطك واستبدادك ، الذى لم أكرهك يوماً من أجله ، قدر كراهيتى لك الآن ، بعد أن عرفت مدى قسوتك وطغيانك .

تصلّب وجه العمة ، وهى تقول :

ـ حسناً .. إنك لا تنتمين إلىّ الآن .. ولن يكون لك أى حق فى المزرعة من بعدى .

صرخت فيها (نسمة) بانفعال ، قائلة :

ـ وأنا لا أريدك ولا أريد مزرعتك .

غادرت العمة المكان ، وصفقت الباب خلفها فى عنف .. باب الرحمة ..

* * *



١٢ ـ محاولة أخيرة ..

جلست (نسمة) أمام المرآة ، فى غرفتها بالاستوديو ، وقد أسلمت وجهها لـ (الماكيير) ، الذى أخذ يضيف بعض الرتوش لـ (مكياجها) ، وسمعت طرقات خفيفة على باب غرفتها، فنادت قائلة :

ـ ادخل .

وسرعان ما تقصلت ملامحها ، واعتراها الاضطراب ، على نحو أثار دهشة (الماكيير) حينما رأت وجه (عصام) فى المرآة ، وقال لها (عصام) بصوت هادئ النبرات :

ـ هل يمكننى أن أتحدث معك قليلا وحدنا ؟

قالت له ، وهى تحاول أن تقاوم ما اعتراها من اضطراب ، ومتظاهرة بالصلابة :

ـ لدى تصوير بعد ربع ساعة .

(عصام) :

ـ لن اخذ من وقتك أكثر من خمس دقائق .

صمتت قليلا ، ثم نظرت إلى (الماكيير) ، وهى تومئ له، لكى يغادر الغرفة ، وبعد انصراف الرجل ، بقيت جالسة فى مكانها ، دون أن تدير ظهرها لـ (عصام) ، مكتفية بالنظر إليه فى المرآة ، فى حين اقترب هو ليقف إلى جوارها ، قائلا :

ـ سمعت أنك تتقدمين سريعاً فى عملك .

قالت دون أن تنظر إليه :

ـ هل جئت لتهنئنى على ذلك .

(عصام) :

ـ بل لأبدى لك النصيحة ، باعتبارى المسئول عن دفعك إلى هذا العمل .

قالت متهكمة :

ـ تبدى لى النصيحة ؟!

(عصام) :

ـ نعم .. فقد سمعت أنك تخرجين كثيراً مع (وحيد حمدى) ، وتقضين وقتك فى سهرات وحفلات ، تمتد إلى مطلع الفجر .

قالت وفى صوتها شىء من القسوة :

ـ أعتقد أن هذا أمر يخصنى وحدى ، ولا يحق لك أن تتدخل فيه .

(عصام) :

ـ ولكنك لا تعرفين من هو (وحيد حمدى) .. إن النجم (الجنتلمان) المثالى ، الذى ترينه على الشاشة ، مختلف تماماً فى حياته الخاصة ، فهو معروف بعلاقاته النسائية المتعددة ، وينصب شباكه حول الباحثات عن الشهرة ، وعلى من يعملن حديثاً فى الحقل السينمائى ، لذا أردت أن أحذرك منه .

ابتسمت بسخرية ، قائلة :

ـ أنت ؟!.. أظن أنك آخر من يحذر من نصب الشباك ، ويبدى النصيحة بشأن المخادعين .

كانت (نسمة) تعرف جيداً أن نصيحته لها حقيقية ومخلصة ،

فقد أدركت من خلال اللقاءات ، التى جمعت بينها وبين (وحيد حمدى) ، خاصة فى الآونة الأخيرة ، أنه يحوم حولها كالثعلب الماكر ، وأنه يبحث عن فرصة لاقتناصها ، وخلال الأسابيع الأخيرة .. أدركت جيداً الفارق الشاسع بين شخصية (وحيد حمدى) على الشاشة ، وشخصيته العابثة ، التى تبلغ مداها ، وتكشف عن نفسها ، خاصة فى اللحظات التى يفرط فيها فى الشراب ، فى أثناء الحفلات التى ارتاداها معاً ، ولكنها لم تعد تلك الفتاة الساذجة ، التى يسهل جذبها إلى وضع ترفضه ، وكانت تعرف جيداً كيف تجعل شخصاً مثل (وحيد حمدى) واقفاً ، لدى حدود لا تسمح له باجتيازها ، ومع ذلك فقد تعمدت إغاظته ، قائلة :

ـ لا تحاول أن تشغل نفسك بنصائح كهذه مرة أخرى ، وكن مطمئناً ، فقد استوعبت الدرس جيداً ، خاصة بعد أن تلقيته على يد أستاذ مثلك .

(عصام) :

ـ ألن تغفرى لى ما حدث أبداً ؟

ردت قائلة ، وفى عينيها نظرة اتهام :

ـ أبداً .

(عصام) :

ـ كيف يمكننى أن أجعلك تصدقين أننى أحببتك ؟.. إذا كنت قد أخطأت فى حقك فى البداية ، فتأكدى أننى دفعت الثمن غالياً .. دفعته من عذاب ضميرى وعذاب قلبى الذى أحبك ، وما زال يحبك .. (نسمة) .. كيف أمكن أن تقسى على حبنا كل هذه

القسوة ؟.. لماذا لا نتجاوز ما حدث ، وقد كان بيننا كل هذا الحب ؟ إن الحب يحمل فى طياته التسامح والغفران .

قالت وهى تحاول الاحتفاظ بجمودها وصلابتها :

ـ لقد هدمت بمعاول الغدر والخديعة صرح الحب ، الذى أقمته لك فى قلبى .. لا تحاول أن تبحث عن الحب وأحلامه بيننا مرة أخرى ، فلم أعد أنا نفس الإنسانة التى عرفتها ، والتى أحبتك ذات يوم .. لقد تحولت إلى إنسانة أخرى .. إنسانة تبدلت أحلامها ، ونزعت الحب وذكرياته من قلبها .

تطلّع إليها قائلا :

ـ إلى هذا الحدّ ؟

قالت وهى تتحاشى نظراته :

ـ نعم .. إلى هذا الحد .

حلّت فترة صمت ، تأملها خلالها بعينين غير مصدقتين ما تراه أمامهما .. لقد تبدلت بالفعل .. تبدّلت إلى حد كبير ، عن تلك الفتاة التى عرفها فى المزرعة .. اختفت ملامح الوجه الملائكى تحت ظلال (المكياج) المصطنع .. ضاعت البراءة فى تيه الكاميرات والأضواء ، والسهرات التى تمتد حتى الساعات الأولى من الصباح ..

لقد أصبحت تجيد السخرية ، تعلمت كيف تتبلد العواطف وتقسو المشاعر .. أين هى حمرة الخجل المحببة فى وجنتيها ، من تلك الأصباغ الصارخة التى تزيّف جمالها الحقيقى ؟..

وأين هى تلك النظرات الخجلة المفعمة بالحب والاضطراب ، كلما التقت عيناها بعينيه ، من تلك النظرة الباردة القاسية ؟..

أين أحلام الحب من أحلام النجومية وأطماع الثراء ؟..

لقد ضاعت البراءة ، وضاعت معها الفتاة التى عرفها وأحبها .

وقال لنفسه :

ـ ربما كنت مسئولا عن الدفع بها إلى هذا الطريق ، الذى غيّر من معالمها ، ولكنها هى التى اختارت أن تسير فيه حتى النهاية .

وأدار لها ظهره ، وهو يهم بالانصراف ، لكنها استوقفته قائلة على نحو مهين :

ـ يمكننى أن أوصى بك الأستاذ (عز الدين) ، ليضعك فى دور لا بأس به ، فى الفيلم .

ابتسم قائلا بسخرية مريرة :

ـ إذن فقد أصبح لك نفوذك فى الحقل السينمائى .

قابلت سخريته بسخرية مماثلة :

ـ وأعتقد أنك ترغب فى استخدامه .

وقال لها فى إباء :

ـ أعتقد أننى لن أكون بحاجة إلى استخدامه مطلقًا ، فقد اعتزلت العمل السينمائى ، ولم تعد الكاميرات والاستوديوهات تثير فى نفسى سوى الغثيان .

وعلى الرغم من أن ما قاله قد فاجأها ، إلا أنها تهكّمت قائلة :

ـ حقًا وأين بريق الشهرة والنجومية ، الذى كان يداعبك من قبل ، وحلمك حول الحصول على فرصة تقفز بك إلى الصفوف الأمامية ؟

قال لها بنفس الإباء :

ـ لقد تبدلت أحلامى ، كما تبدلت أحلامك ، إذ أثبتت تجربتى معك أننى لن أستطيع أن أنتمى إلى هذا المجتمع ، الذى جئت بك إليه .. وليس من العيب أن تتبدل أحلامنا مع الوقت ، ولكن المهم فى النهاية أن نختار الطريق الصحيح .. وأرجو من الله أن يهديك إليه .

ثم انصرف ، بعد أن أغلق باب الغرفة خلفه ..

اندفعت (نسمة) لتلصق جبهتها بالباب وقد انسابت الدموع من عينيها ..

إنها ما تزال تحبه ، وهى تعرف ذلك جيدًا ..

لقد كانت كاذبة فى كل ما قالته .. فى سخريتها .. وقسوتها معه .. وفى أحلامها المصطنعة ..

إن فتاة المزرعة البريئة مازالت تحيا داخلها ، على الرغم من كل ما تعلمته وحاولت أن تتعلمه فى الآونة الأخيرة ، وتسير على نهجه .. وما زالت هذه الفتاة تهفو إليه ، لكن قلبها الذى طعنه بسكين ، يوم أدرك أنه كان يمثل عليها دور الحب ، غير قادر على التسامح والغفران ، مع أنه ينبض بحبه ..

وأخذت تردد لنفسها منتحبة ، وهى تحفر بأظافرها جدران الباب الخشبية :

ـ كم هى قاسية حقائق الحياة ؟.. ليتنى بقيت تلك الفتاة الساذجة ، التى تجهل كل شىء .. ليتنى ما عرفت الحب ، وليتنى بقيت غافلة عما تعنيه كلمة خداع ، وعبارة استغلال المشاعر .. ليتنى ما جئت إلى هذا المكان لأطلع على كل هذا الزيف والبريق الكاذب .. ليتنى ما عرفت حقيقة أمى .. وحقيقة موتها .. ليتنى وليتنى ولكن ما عادت تجدى الأمانى ، بعد أن فات الأوان .

وطرق (الماكيير) باب حجرتها ، فما ما لبث أن دخل ، ونظر إليها مصعوقًا ، وهو يقول :

ـ ما كل هذه الدموع ؟.. لقد أفسدت (مكياجك) ، الذى بذلت فيه جهد ثلاث ساعات .

كان هذا كل ما يقلقه ..

* * *

ابتسم الموظف الجالس وراء مكتبه ، قائلًا وهو يقدم عددًا من الأوراق لـ (عصام) :

ـ مبروك يا أستاذ (عصام) .. لقد انتهت كل الأوراق المطلوبة .. يمكنك أن تذهب غدًا لاستلام الأرض .

استلم منه (عصام) الأوراق ، وهو يشكره ، ويشد على يده بامتنان ، قائلًا :

ـ لكن كيف ستتم عملية التسليم ؟

أجابه الموظف :

ـ اطمئن .. لن تصادفك مشاكل .. ستذهب غدًا إلى مكتب توزيع الأراضى بالعامرية ، وتقدم له هذه الأوراق ، ثم توقع له بالاستلام ، وبعدها سيصحبك مندوب من الجمعية لتسلم الأرض والمنزل ، وستجد كل ما تحتاجه من بذور وسماد ، لدى الجمعية الزراعية ، المشرفة على المشروع ، كما ستقوم سيارات تابعة للشركة بتولى احتياجاتك اليومية .. أعنى المواد التموينية ، والمواصلات وما شابه ذلك ..

قال (عصام) ، وهو يعود لمصافحته بحرارة :

ـ أشكرك .. أشكرك جدًا .

ووّدعه الموظف، قائلا :

- المهم أن تدع الشركة ترى جهدك وإنتاجك، بعد تسلمك للأرض الجديدة ..

وخرج (عصام) من مبنى شركة (العامرية) الجديدة ، لاستصلاح وتوزيع الأراضى الجديدة ، وهو لا يصدق نفسه . فها هو ذا يسير فى طريق تحقيق حلمه الجديد .. لقد حصل على عقد تملك لخمسة أفدنة استصلحتها الدولة ، بالإضافة لفيلا صغيرة ليقيم بها ، مقابل مبلغ معقول ، يسدد على أجل طويل ، وبعد فترة سماح قدرها خمس سنوات ، وسيبدأ فى هذه الأرض بممارسة عمله الحقيقى .. لن يضن على أرضه بجهد أو نقطة عرق ، من أجل أن يجعلها مثمرة ، تجود بالعطاء .. سيعطيها حبه وقلبه وخبراته ، ليبنى معها حياته الجديدة ..

وانتابه شعور عميق بالارتياح والثقة ، كما تملكه حماس جارف ، وعزيمة قوية ، جعلاه غير قادر على الانتظار إلى الغد ، ولكن تذكرها فجأة ، وسط مظاهر البهجة والحماس ، الذى أحاط به ، فعاوده ذلك الإحساس الحزين بلوعته لفراقها ، وأحس بالألم ؛ لأن كل شيء بينه وبينها قد انتهى على هذا النحو ، وزاد من شعوره بالألم أنه سيكون بعيدًا عنها ، وأنه لم تعد تجمعهما نفس المدينة .. كم تمنى أن تكون إلى جواره فى هذه اللحظة ؟.. وكم تمنى أن تشاركه سعادته ، ورحلته الجديدة فى الحياة ؟

ولكن الطريق الذى اختاره كل منهما لنفسه أصبح مختلفاً ، ولم يعد به موقع للالتقاء مرة أخرى ..

وانطلقت زفرة حارة من صدره ، وهو يحاول أن ينفض عن

نفسه ذلك الشعور الكئيب ، الذى تسلل إليه ، مقتحماً بهجته وهو مقبل على لحظة حاسمة فى حياته ، وراوده سؤال عما إذا كان اختياره لتلك الأرض ، البعيدة فى الصحراء ، يتضمن نوعًا من الهروب منها ، ومن حبه المهزوم معها ، وقال لنفسه :

- ربما .. ولكنه فى النهاية هروب مفيد .. بل إن التجربة كلها قد أفادتنى . وجعلت منى إنسانًا آخر ..

وهناك ، مع التعب والعرق وتراب الأرض ، ستتاح لى الفرصة لكى أنساها ، وأدفن ذكريات الحب الضائع فى رمال الصحراء .

ولكن شيئاً ما كان يهز ثقته فى ذلك ، ويؤكد له أنه لن يفلح فى نسيانها أبدًا .

وانطلق يركض فى الشوارع ، متجهًا نحو منزله ، وهو يلهث من شدة الركض ، وكأنه يبغى من وراء إحساسه بالتعب أن يبعد هذا الشيء عن تفكيره ، وصعد فى درجات السلم ، ليجد شخصًا جالسًا على إحدى الدرجات إلى جوار باب شقته ، ونظر إلى الرجل بدهشة ، قائلا :

- عم (رزق) ؟

صافحه الرجل ، وفى عينيه نظرة ود هذه المرة ، قائلا :

- كيف حالك يا بنى ؟.

قال له (عصام) وهو لا يزال مندهشاً من حضوره :

- أهلا بك يا عم (رزق) ... متى جئت ؟

قال له (رزق) :

- إننى أنتظرك هنا ، منذ ساعة أو أكثر .

دعاه (عصام) إلى الدخول ، وهو يفتح باب الشقة ، وقال (رزق) وهو يدلف إلى الداخل :

لا تؤاخذنى يا بنى ، إذا كنت قد حضرت إلى هنا هكذا ، دون موعد سابق .

دعاه (عصام) إلى الجلوس ، وهو يقول :

ـ أبدا .. أبدا يا عم (رزق) .. مرحباً بك فى أى وقت .. ولو أنك لو كنت قد جئت غدا فما كنت لتجدنى .

قال له (رزق) بانزعاج :

ـ لماذا ؟.. هل أنت مسافر يا أستاذ (عصام) ؟

(عصام) :

ـ نعم .. ولكنه سفر دائم ؛ فقد امتلكت قطعة أرض جديدة ، من الأراضى الصحراوية المستصلحة فى (العامرية) ، وسوف أعمل وأقيم إقامة دائمة هناك .

قال (رزق) :

ـ مبروك يا بنى .... لقد بحثت عن عنوانك عن طريق بعض زملائك فى (الاستوديو) ، وقد دلونى على المنزل هنا .

(عصام) :

ـ خيراً يا عم (رزق) .. هل حدث شىء ؟

(رزق) :

ـ لا لم تعد هناك جدوى من الحديث الآن ، ما دمت سترحل إلى أرضك الجديدة غدا .

(عصام) :

ـ ولكن هذا لا يمنعك من أن تخبرنى بما دفعك إلى الحضور إلى هنا .

قال (رزق) ، وعلى وجهه ملامح الأسى :

ـ لقد جئت من أجل (نسمة) .. جئت لثقتى فى أنك الإنسان الوحيد ، الذى أحبته ، وله القدرة على التأثير عليها .

تنهد (عصام) قائلا :

ـ ربما أن ثقتك هذه ليست فى محلها يا عم (رزق) .. ومع ذلك قل لى : هل حدث أى مكروه لـ (نسمة) .

(رزق) :

ـ سيحدث .. سيحدث يا بنى ، لو بقيت مستمرة فى عملها هذا ، وأسلمت قيادها لذلك المجتمع الغريب عليها ..

لقد ذهبت إلى خالتها أمس ولكننى لم أجدها ، وظللت أترقب حضورها فى الشارع ، أمام باب منزلها ، حتى الثانية صباحا ، حيث رأيتها قادمة فى سيارة ، وسط مجموعة من السكارى والعابثين ، وهم يضحكون ويهللون ، حتى أننى من فرط خجلى واستيائى ، لم أقو على محادثتها ، ولقد شعرت بخوف عظيم عليها ، عندما رأيتها تخالط أولئك الأشخاص ، وتحيا تلك الحياة .

(عصام) : ولماذا لم تتحدث إلى خالتها فى هذا الشأن ؟

(رزق) :

ـ خالتها تشجعها على ممارسة هذه الحياة ، فهى امرأة لا تقيم وزنا للمبادئ ولا يؤرقها ضمير ، تجاه ابنة شقيقتها .

(عصام) :

ـ وهل أرسلتك عمتها ، لكى تحاول إعادتها إلى المزرعة ؟

قال (رزق) ، وهو ينفى ذلك القول :

ـ ليس لي شأن بعمتها .. المهم عندى هو (نسمة) نفسها .. هذه الفتاة تربت على يدى ، وأعدها بمثابة ابنة لى .. ربما كنت أشفق عليها فى بعض الأوقات ، للشدة التى تعاملها بها عمتها ، ولكنى كنت أرى أنها الطريقة المثلى لتربية فتاة مثلها ، ولكنى الآن أعرف جيدًا أن الشدة والحرمان ، اللذين فرضتهما عليها تلك السيدة ، هو الذى تسبب فى دفعها إلى هذا الطريق ، الذى تجهل دروبه ومزالقه ، فهى لم تبرح المزرعة منذ طفولتها ، ولا خبرة لها بالحياة ، وهذا ما يجعلنى أخشى عليها من عاقبة الاختلاط بأشخاص مثل أولئك ، الذين رأيتهم معها أمس .

(عصام) :

ـ وما الذى تريد منى أن أفعله ؟

قال (رزق) متوسلًا :

ـ تحول بينها وبين السير فى هذا الطريق .. إنقذها من نفسها ، وممن حولها يا بنى .

(عصام) :

ـ إنه اختيارها ، ولا أستطيع أن أمنعها عن حياة اختارتها لنفسها .

(رزق) :

ـ ولكنك تحبها ، وتبغى الزواج منها .. أليس كذلك ؟.. لست أنكر أننى كنت مرتابا فيك ، منذ مجيئك إلى المزرعة فى البداية ، ولكننى سرعان ما وثقت بك عندما أعلنت عن نبل مقصدك تجاه (نسمة) ورغبتك فى الزواج منها ، وازداد تقديرى لك ، عندما رأيتك تدافع عن حبك لها ، وعن مقصدك الحلال بشجاعة ، أمام

(درية) هانم .. لذا ظننت أنك ستدافع عن حبك هذا حتى النهاية ، وبنفس الشجاعة والإصرار .

(عصام) :

ـ ولكن (نسمة) لم تعد تحبنى .

(رزق) :

ـ وأنت .. أما زلت تحبها ؟

صمت (عصام) ، دون أن يقدم له إجابة ، فاقترب منه (رزق) ، قائلًا :

ـ أجبنى يا باشمهندس .

أجابه (عصام) قائلًا :

ـ لا شأن لما أحسه نحوها بذلك الأمر .

سار (رزق) متجهاً نحو الباب بخطوات سريعة ، دون أن يضيف كلمة أخرى ، واندفع (عصام) خلفه ، قائلًا :

ـ إلى أين يا عم (رزق) ؟

قال له (رزق) بغضب :

ـ سأبحث عن وسيلة أخرى لمساعدة الفتاة ، ما دمت عاجزًا عن التصرف .

وفتح الباب وهو يردف ، قائلًا :

ـ كنت أظنك تحبها أكثر من ذلك .

حركت تلك العبارة مشاعر (عصام) من جديد ، هذا الرجل لو بذل فى تصوره أقصى ما يمكن للمرء أن يبلغه من تصوّر ، لما أمكنه أن يدرك مدى حبه لهذه الفتاة ، فهتف به يستوقفه :

ـ انتظر يا عم (رزق) .. سآتى معك .. وسأبذل معها محاولة .. محاولة أخيرة .

* * *

١٣ ـ ستبقى فى قلبى ..

وقف (عصام) أمام باب الفيلا الصاخبة ، فى ضاحية (المعادى) ، وقال لـ (رزق) :

ـ ألن تأتى معى ؟

قال له (رزق) :

ـ لا .. مظهرى وسنى لا يسمحان لى بالدخول إلى هذا المكان .. أدخل أنت يا بنى ، فأنت تعرفهم .

كان (عصام) قد توجه إلى (الأستوديو) ، ومعه (رزق) حيث عرف هناك أن (نسمة) تسهر فى إحدى الحفلات ، التى أقامها الممثل (وحيد حمدى) فى فيلته ، احتفالاً بانتهاء فيلم (لقاء فى الجنة) ، وعلى الفور توجّه (عصام) وبصحبته (رزق) إلى الفيلا ، حيث استطاعا أن يسمعا صوت الضحكات والضوضاء بالداخل ، وترك (عصام) (رزق) واقفا ، واتجه هو نحو مدخل الفيلا ، حيث وضع يده على جرس الباب ، وفتحت له إحدى الفتيات الباب ، مطلقة ضحكة عالية عابثة ، وهى تتمايل من كثرة الشراب ، ونادى عليها أحد الأشخاص من الداخل ، قائلا :

ـ من الذى حضر يا (سوزى) ؟

فقالت له ساخرة ، وهى تجذب (عصام) من يده إلى الداخل :

ـ إنه (حسين فهمى) .

وتطلع إليه مجموعة من الأشخاص ، الذين يفترشون الأرض ، وهم جالسين فوق عدد من الوسائد ، ثم انفجروا بالضحك ..

كانت الفيلا فى حالة يرثى لها من الفوضى .. وقد أخذ بعضهم يعزف الموسيقى بينما اندمج البعض الآخر فى رقص هستيرى عنيف ، فى كرنفال لا مثيل له من الملابس الفاخرة والفاضحة ، وشعر (عصام) من رائحة الدخان والشراب ، التى كانت تفوح من المكان بشىء من الغثيان ..

لقد جاء إلى مثل هذه الحفلات من قبل ، ولم تكن هذه اجواء جديدة عليه ، ولكن من الغريب أنه يشعر بالغربة الآن ، وسط هذا المناخ .. بل تملّكه إحساس لا مثيل له بالاشمئزاز ، من المكان والأشخاص ، وأخذ يسير بخطوات متمهلة داخل بهو الفيلا ، وعيناه تبحثان عن (نسمة) وسرعان ما لمحه مدير إنتاج الفيلم ، الذى كان جالساً على المقعد المواجه للبار ، فترك مكانه ، واقترب منه ليتأبط ذراعه ، قائلا :

ـ (عصام) .. هل جئت لتحتفل معنا بانتهاء الفيلم ؟ .. لقد بذلنا جهدا شاقا ، حتى انتهينا من هذا الفيلم اللعين ، و ...

ولكن (عصام) أبعد ذراعه عن يد الرجل ، وتركه دون أن يوليه أى اهتمام ، وهو يدلف إلى حديقة الفيلا الخلفية ، عبر الأبواب الزجاجية ، حيث رأى حلقة من الأشخاص ، على ضوء المصابيح الملوّنة ، مندمجين فى التصفيق بأيديهم ، وهم يضبطون وقع أقدامهم على نغمات الموسيقى ، ووسط هذه الحلقة رأى (نسمة) وقد التفت بحزام حول خصرها ، وأخذت تتمايل على نغمات الرقص الشرقى ، وكان (وحيد حمدى) يشاركها الرقص بحماس ، فاقتحم (عصام) دائرة المصفقين ، وهو يسمع تعليقاتهم ، إذ قال أحدهم :

- ألم أقل لك إنها بارعة ؟.. يبدو أننا لم نكتشف كل مواهبها بعد .

وقالت أخرى لزميلتها :

- هل رأيت هذه الفتاة التى كانت تتظاهر بالسذاجة ؟.. ومن الغريب أننا بذلنا معها محاولات شاقة لدفعها إلى الرقص .

والتقت عيناه بعينيها ، وهى مستغرقة فى رقصتها ، فتوقفت عن الرقص فجأة ، وقد أحست بحالة مباغتة من الخجل والارتباك ، ونظرت إليه وقد عاودها ذلك الاحمرار فى وجنتيها ، وسألها (وحيد) قائلا ، دون أن يتنبه لما اعتراها من اضطراب :

- لماذا توقفت ؟

تغلبت بسرعة على إحساسها المباغت ، واستعدت للرقص من جديد ، دون أن تأبه له ، ولكنه حدثها ، قائلا :

- (نسمة) .. أريد أن أتحدث إليك .

قالت له ببرود :

- لم يعد بيننا ما يقال .

وقال بتصميم :

- تعال معى لنتحدث ، وإلا اضطررت لجذبك من ذراعك ، وسط هؤلاء المخمورين .

قالت بتحدّ :

- بأى حق ستفعل هذا .. لقد انتهى الأمر بيننا .

انفعل قائلا :

- (نسمة) .. إنك تدمرين نفسك ، فأنت لم تخلقى لمثل هذه الحياة .. لقد ضللت طريقك إلى هذا المكان ، وآن لك أن تدركى إنك لا تنتمين إليه ، كما أدركت أنا ذلك من قبلك .

ولكنها قابلت كلماته بسخرية ، وهى تصفق بيدها ، قائلة :

- أداء رائع .

ثم نظرت إلى المحيطين بها ، قائلة :

- أرأيتم ذلك الممثل القدير ؟.. ليتكم رأيتموه فى دوره الرائع ، فى رواية المخادع .

قال لها (عصام) ، وهو يجاهد للاحتفاظ بهدوئه :

- لقد جاء معى عم (رزق) .. جاء من أجلك خصيصًا ، وهو ينتظرك خارج الفيلا .

انحنت بطريقة مسرحية ، قائلة :

- هل حضر معك خادم الملكة ، حاملا منها رسالة إلىّ ؟.. إذن قل له أن يعود إلى الملكة عمتى ، ليخبرها أننى أرفض تسلّم رسالتها :

أمسك بها من ذراعيها فى عنف ، قائلا :

- هل جعلوك تشاركينهم الشراب ؟

قالت مترنّحة :

- كأس واحدة فقط ، وأى ضرر فى ذلك .. الشراب يجعل المرء ينسى همومه ، وينسى من يخدعونه .

قالت الكلمة الأخيرة وهى تشير له بإصبعها ، ثم أردفت :

- كما لا تنسى أننى بطلة الفيلم ، الذى انتهى هذا اليوم والذى لا يمكننى إنكار فضلك فى جعلى بطلته ، وهذه مناسبة يجب الاحتفال بها .. لماذا لا تتناول كأسا أنت الآخر ؟.. فمن حقك أن تحتفل معنا بهذه المناسبة ، بعد كل ما بذلته معى من جهد .

قال (عصام) بإصرار :

ـ (نسمة) .. تعالى معى ، واتركى هذا المكان .
أثار إصراره ضيق (وحيد حمدى) ، فسأل أحدهم ، قائلًا :
ـ منِ هذا الشاب ؟
قال أحدهم :
ـ إنه أحد (الكومبارس) ، الذين كانوا يعملون بالفيلم .
قال بغضب :
ـ ومن سمح له بدخول الفيلا .
واقترب منه ، قائلا وهو يدفعه فى كتفه :
ـ اسمع يا هذا .. ألا ترى أننى قد احتملتك أكثر مما يجب ؟..
اسرع بمغادرة هذا المكان ، وإلا ألقيت بك إلى الخارج .
ثم جذب (نسمة) من ذراعها ، ليعيدها إلى حلقة الرقص ، ولكن (عصام) استوقفه ، مسددًا له لكمة قوية فى فكه ، أطاحت به أرضاً ، وسط ذهول الواقفين ، والتفت إلى (نسمة) قائلًا بعينين غاضبتين :
ـ هل ستأتين معى أم لا ؟
وقالت له بتحد وقد أفقدها ما حدث تأثير الكأس الذى شربته :
ـ لا .. إننى أدرك شعورك جيداً ، فالكومبارس المغمور يشعر بالغيرة ، من النجمة التى أسهم فى تقديمها إلى الشاشة .. عمومًا لقد عرضت عليك المساعدة من قبل ، وما زال العرض قائمًا ، فأنا أرثى لك ..
احتقن وجهه من شدة الغضب لما قالته ، ثم رفع يده عاليًا ، لينهال عليها بصفعة قوية ، تركت آثارها على وجهها ، قائلًا :
ـ أنتِ تستحقين الرثاء . حسناً .. لقد انتهى الأمر بيننا .. انتهى الأمر إلى غير رجعة ولم أعد مسئولًا عنك بعد اليوم .

ثم أسرع بمغادرة المكان فى خطوات عنيفة ، والكل يراقبه ، دون أن يجرؤ أحد على الاقتراب منه ، لشدة ما بدى عليه من غضب وانفعال ، وما أن غادر الفيلا ، حتى أسرع إليه (رزق) متسائلًا :
ـ ماذا فعلت ؟
قال ، وهو يحاول أن يهدئ من انفعاله :
ـ لا فائدة .. عليك أن تنسى تلك الفتاة التى تربّت على يدك فى المزرعة ، فلم يعد لها وجود .
ثم تركه واستقل سيارة أجرة عائداً إلى منزله :
وعادت الموسيقى والرقص الصاخب إلى المكان من جديد ، فى حين بقيت (نسمة) واجمة فى مكانها ، وعيناها تنطقان بالحزن ، واقترب منها منتج الفيلم ، قائلًا وهو يحاول أن يهوّن من حزنها :
ـ لا عليك .. إنه يشعر بالغيرة كما قلت .. على كل حال ، لقد أعددت لك عقد الفيلم القادم ، وسوف أدفع لك أربعة آلاف جنيه ، زيادة عما حصلت عليه فى هذا الفيلم .
وأخرج العقد من جيبه ، ليقدمه لها ، ثم تناول القلم ، قائلًا :
ـ إنها مناسبة طيبة لكى توقعى العقد الجديد .. هل تعرفين أننى كنت أنوى اعتزال العمل ، فى مجال الإنتاج السينمائى ، ولكنك جعلتنى أعدل عن ذلك ، فأنا استبشر بك خيرًا .
ولكنها لم تأخذ القلم الذى قدّمه لها ، بل أعادت إليه العقد قائلة :
ـ آسفة .. لن أعمل فى السينما مرة أخرى .

نظر إليها بدهشة ، قائلا :

ـ هل أنت مجنونة ؟ .. هل يتخلى أحدًا عن فرصة كهذه ؟

ولكنها لم تجبه ، بل اندفعت إلى الخارج مغادرة ، الفيلا وعيناها تبحثان عن (عصام) ، وفى الخارج وجدت (رزق) ما زال واقفاً فى انتظارها ، فأسرعت بإلقاء نفسها بين ذراعيه ، وهى تجهش بالبكاء ، وقال لها (رزق) ، وهو يمسح بيده على شعرها :

ـ كنت أعرف أنك لن تظلى بالداخل ، بعد ما حدث ، وكنت أعرف أن الطفلة التى طالما حملتها على كتفى ستعود لتلقى برأسها فوق هذه الكتف .

* * *

كان (عصام) مستغرقاً فى عمله بالأرض الجديدة ، التى امتلكها ، وقد أخذت حبات العرق تتساقط بغزارة ، وهو يهوى بمعوله على الأرض ، وتوقف قليلًا ليمسح عرقه بأكمام قميصه ، عندما سمع صوتًا يأتى من خلفه ، قائلا :

ـ هل تحب أن أساعدك ؟

تذكر متى سمع هذه العبارة من قبل ، فالتفت وفى عينيه نظرة دهشة ، قائلا :

ـ (نسمة) ؟!.. كيف جئت إلى هنا ؟

قالت مبتسمة :

ـ من يسأل لايضل ؟ .. لقد دلنى عم (رزق) على المكان .

ثم نظرت إلى الأرض حولها فى تكلف مصطنع ، قائلة :

ـ هل هذه هى أرضك الجديدة ؟

وقال بخشونة .

ـ نعم

وتطلعت إلى المنزل القائم بعيدا ، قائلة .

ـ وهل هذه هى الفيلا الصغيرة ، التى تقيم بها .

زفر بضيق ، قائلا .

ـ نعم

قالت مستمرة فى تكلفها المطنع .

ـ حسنا .. المكان ليس رديئا جدًا على كل حال .

سألها بنفس النبرة الخشنة .

ـ كيف سمحت لنفسك أن تأتى إلى هذا المكان بمفردك ؟

سألته قائلة :

ـ لماذا ؟ أليس للمرأة مكان هنا ؟

قال ، وهو مستمر فى غضبه :

ـ نعم .. عندما تكون زوجة لأحد ملاك هذه الأراضى .

قالت بدلال :

ـ حسنا .. إذن لامانع أن أكون موجوده هنا .

نظر إليها بريبة ، قائلا :

ـ ماذا تعنين ؟

ابتسمت قائلة :

ـ الم تفهم ما أعنيه بعد أيها المخادع ؟ .. ألا يمكنك العثور لنا على مأذون فى هذا المكان ؟

ونظر إليها غير مصدق ، وهو يقول :

ـ هل تعنين ....

أكملت قائلة .

ـ نعم أعنى الذى فهمته .. فأنا أريد أن أقاسمك هذه الأرض ، وذلك المنزل ، فلم أكن لأسمح لك أن تمتلكه وحدك .

وخفق قلبه بعنف ، واكتسحته موجة طاغية ، وهو يردد :

ـ أهذا حقيقى ؟ إنك لاتعرفين كم حلمت بهذا .

ثم اندفع ليحملها بين ذراعيه :

ـ إذن فقد سامحتنى .. هل أصبح من حقى أن أهنئ نفسى على عودة حبيبتى لى ؟ وعلى أنك ستصبحين حقًا زوجتى ؟

قالت وعيناها تنطقان بالحب :

ـ أنا التى يجب أن تطلب منك أن تسامحها ، فقد آذيتك كثيرًا فى مشاعرك .. كنت أفعل ذلك دون وعى منى ، لرغبتى فى الانتقام منك ، حتى عملى فى السينما ، وحضورى تلك الحفلات كان لرغبة خفية فى الانتقام من الشخص الذى خدعنى ، ولكننى كنت مدركة طوال الوقت أننى أحبك ، ولن أحب سواك .

وسألها :

ـ والسينما ؟

ضحكت قائلة :

ـ كانت غلطة لن تتكرر فى حياتى ، فكما قلت : أنا لم أخلق لهذا النوع من الحياة .

ونظرت إليه مداعبة ، وهى تقول :

ـ والآن .. هل تتكرم بأن تنزلنى إلى الأرض ، وتسرع بالبحث عن مأذون ؟

أنزلها إلى الأرض ، قائلا .

ـ حالًا .. سآخذ سيارة الجمعية ، وأذهب إلى المدينة ، وبعد ساعة واحدة فقط ستجديننى ومعى المأذون والشهود ، أما الحفل فسوف نقيمه فى مقر الشركة هذه الليلة .. ما رأيك ؟

ابتسمت قائلة :

ـ رأيى أن أذهب معك إلى المدينة ، لنعقد قراننا هناك ، فلن أقوى على الانتظار ساعة أخرى ، أما بالنسبة إلى الحفل ، فأنا أفضل أن نقيمه فى منزلنا ، وأن تدعو إليه من ترغب فيه من أصدقاء .

تناول يدها وهو يركض قائلا :

ـ حسنًا .. هيا بنا .

وأخذا يركضان ، فى طريقهما إلى الجمعية ، دون أن يشعر أحدهما بالتعب ، فقد أنستهما فرحتهما الشعور بالتعب ، وانحصر همهما فى اللحاق بالمأذون ، وتعويض أيام الفراق ، التى باعدت بينهما ، وهما يحملان بين جنبيهما كل هذا الحب ؛ ومن آن لآخر ، كان (عصام) يلقى نظرة على وجهها ، وهما يركضان .. لم يعد هناك أثر للمكياج ، وعاد وجهها إلى فتنته الطبيعية .. عادت إليه فتاة المزرعة ، التى لاتعرف الزيف ولا القسوة ولا الأطماع ..

عادت إليه (نسمة) التى أحبها .

أما هى فعلى الرغم من كل الحواجز والسدود ، التى باعدت بينهما ، كانت تعرف دائمًا أنه باق ، وسيبقى فى قلبها حتى نهاية العمر ..

* * *

[تمت بحمد الله]

زهور — سلسلة رومانسية رفيعة المستوى —

المؤلف



أ . شريف شوقي

السلسلة الوحيدة التى لا يجد الأب أو الأم حرجا من وجودها بالمنزل

ستبقى فى قلبى

أحبته (نسمة) ، فخدعها باسم الحب ، وعجز قلبها عن أن يسامحه ، على الرغم من أنه ينبض بحبه ، فى كل خفقة من خفقاته .. ترى أية نهاية سينتهى إليها ذلك الصراع فى قلبها ؟ أو إلى أى مدى سيحتمل قلبها خفقاته ؟

٤٥

الثمن فى مصر ١٢٥ قـ
وما يعادله بالدولار الأمريكى فى سائر الدول العربية والعالم